التَّوظِيفُ الِكنَائِيُّ لِأَفعَالِ المُطَاوَعَةِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ

" دِرَاسَةٌ بَلاغِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ "

د/إيهاب عبد الفتاح أحمد

مدرس بقسم اللغة العربية– كلية الآداب جامعة بني سويف

المستخلص

يَرصُدُ هَذَا البَحثُ التَّوظِيفَ الكِنَائِيَّ للفِعلِ المُطَاوِعِ،وبَيَانَ الأَغرَاضِ البَلاغِيَّةِ للكِنَايَةِ التِي أَنْتَجَتْهَا مُطَاوَعَةُ الفِعلِ فِي بِنيَةِ الآيَةِ فِي السِّيَاقِ القُرآنِيِّ،وقَد تَعَدَّدتْ المَواضِعُ الّتِي تَردَّدَ الفِعلُ المُطاوِعُ فِيهَا بِأوزَانِه المُختَلِفَةِ، وَأَصبَحَتْ تُشَكِّلُ ظَاهِرةً تَفرِضُ نَفسَها عَلى الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ والبَلاغِيِّ؛فَالنَّصُّ القُرآنِيُّ مُعجِزٌ فِي بَيانِه وَأُسلُوبِه،ولَا شَكَّ أَنَّ الصِّيغَةَ الفِعلِيَّةَ لهَا أهمِيَّتُهَا وَأَثرُهَا فِي المَعنَى،وهَذَا مَا دَفَعَنِي إِلى كِتَابةِ هَذا البَحثِ بُغيَةَ دِرَاسَةِ كِنَايَاتِ الصِّيغَةِ الفِعلِيَّةِ المُطَاوِعَةِ ــ ذَلكَ أنَّ المُطَاوَعَةَ مَفهُومٌ يُفَسِّرُ بِه بَعضُ الأَفعَالِ التِي تَخرُجُ إِلى مَعَانٍ أُخَرــ ومَا نَتَجَ عَنهَا مِن تَغَيُّراتٍ فِي الدِّلَالَةِ تَستَدْعِي اسْتِجلَاءَ مَقَاصِدِهَا البَلاغِيَّةِ .

الكلمات المفتاحيّة

الكِنائِيَّة ــ الأَغرَاض ــ المُطاوَعة ــ اللُّغويّ ــ البَلاغِيّ ــ النَّصّ القُرآنِيّ ــ الصِّيغَة.

Abstract

In order to show and present the rhetorical significance and purpose of metonymy and its influence on the structure of ‘aya’ or verse in the Quranic discourse, the present study investigates how middle verbs are figuratively used. The middle verb occurs many times with all its metric forms in position. Since it is a phenomenon that affords itself rhetorically and linguistically, the Qur’anic text is a miracle for its style and statement. There is also no doubt that verbal formula is very important in terms of meaning. For this purpose, the researcher exceeds much effort to explore metonymy of middle verbal formula since anti-causative is a term through which another meaning is denoted and generated by making changes in connotation and eloquence.

Key Words:

Linguistic - Rhetorical - Context - Antonomasia - Purpose - the Qur’anic text- Discourse

المقدمة

لقد أَوجَدَ النَّصُّ القُرآنِيُّ ـــــ مَسمُوعًا ومَقرُوءًا ـــ فَضَاءً جَدِيدًا مِن التَّعامُلِ مَع مُتلقِيهِ،وأَثبَتَ فِي ذَاكرَتِه طَرِيقَةً جدِيدَةً فِي استِعمَالِ اللغَةِ،وذلكَ حِينَ أَدرَكَ مَعنَى حُرِّيَّةِ القِرَاءةِ فِي مُواجَهةِ نَصٍّ لَيسَ لِأَحدٍ أَنْ يَأتِيَ بِمثلِه. والدِّراسةُ البَلاغِيَّةُ للنظمِ القُرآنِيِّ فِي آيَاتِه وسُورِه أَمرٌ ضَرُورِيٌّ فِي تَطوِيرِ الدَّرسِ البَلاغِيِّ نَظَرِيًّا وتَطبِيقِيًّا.

ومِن هَذا المُنطَلَقِ جَاءتْ هَذِه الدِّرَاسَةُ لتُمَثِّلَ أُنمُوذَجًا لدِرَاسَةِ بَلاغِيَّةِ النَّظمِ القُرآنِيِّ فِي آيَاتٍ جَمَعَ بَينهَا فَنٌّ بَلاغِيٌّ عَظِيمٌ هُو فَنُّ الكِنَايَةِ،ولَمَّا كَانَ هَذَا الفَنُّ مُستَعمَلاً فِي القُرآنِ فِي مَواضِعَ كَثِيرَةٍ،فَقَدْ وَقَعَ الاختِيَارُ عَلى آيَاتٍ تَمَيَّزَتْ بِظَاهِرَةٍ أُسلُوبِيَّةٍ طَرِيفَةٍ هِيَ المَعنَى الكِنَائِيّ فِي فِعلِ المُطَاوَعَةِ؛ومِن ثَمَّ فَإِنَّ عَينَةَ الدِّرَاسَةِ مِن الآيَاتِ التِي تَوفَّرَتْ فِيهَا هَذه الظَّاهِرَةُ،تَكشِفُ عَن العَلاقَةِ الوَطِيدَةِ بَينَ عِلمَي الصَّرفِ والبَلاغَةِ،وتُوضِّحُ أَثرَ المَعَانِي الوَظِيفِيَّةِ للصيغِ الصَّرفِيّةِ لأَفعَالِ المُطَاوَعَةِ فِي البَلاغَةِ القُرآنِيَّةِ .

الدراسات السابقة

لَمْ أَقِفْ عَلى مَنْ دَرَسَ المَعنَى الكِنَائِيَّ فِي أَفعَالِ المُطَاوَعَةِ كَاشِفًا عَن مَقَاصِدِهَا البَلاغِيَّةِ فِي أَوزَانِهَا المُختَلِفَةِ،إِلّا مَا وَجَدتُّه فِي كِتَابِ الدُّكتورِ أيّـوب جَرْجِيـس العَطِيّـة(أفعالُ المُطَاوَعةِ واستِعمَالاتُها فِي القُرآنِ الكَرِيمِ)، وَهَذا الكتابُ اسْتَوعبَ بعضَ الآياتِ التِي وَرَدتْ فِيهَا أَفعَالُ المُطَاوَعةِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ،ولكنَّ دِراستَه جَاءتْ مُقتَصِرَةً عَلى مَعانِي أَفعَالِ المُطاوَعَةِ المَنقُولَةِ عَن أَقوَالِ المُفسِّرِينَ غَيرَ كَاشِفَةٍ عَن دِلالَتِهَا الكِنَائِيَّةِ وَمَقَاصِدِهَا البَلاغِيَّةِ،وَهُو مَا انْعقَدَتْ دِراسَتُنا لَه.

منهج الدراسة

قَامَتْ الدِّراسَةُ عَلى المَنهَجِ التَّحلِيلِيِّ الاستِنبَاطِيِّ للآيَاتِ القُرآنِيَّةِ،تَحلِيلاً لِأَفْعَالِ المُطَاوَعَةِ فِي أَوزَانِهَا المُختَلِفَةِ،واستِنبَاطًا للمَعَانِي الكِنَائِيَّةِ الكَامِنَةِ فِيهَا،وَمَقَاصِدِهَا البَلاغِيَّةِ،مُعْتَمِدَةً عَلَى أُمَّهَاتِ الكُتُبِ اللُّغَوِيَّةِ والنَّحْوِيَّةِ الأُصولِ،وبَعضِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ،وبَعْضِ الكُتُبِ التِي عَنِيَتْ بِالمُطَاوَعةِ.

المحور الأول: المطاوعةُ وثُنائيَّةُ الإنتَاجِ الدِّلالِيِّ

المطاوعةُ([1])هي حصولُ الأثرِ عن تعلق الفعل بمفعوله،نحو: كَسرْتُ الإناءَ فتكَسّرَ،فيكون تَكسّر مُطاوِعًا، أي موافقًا لفاعل الفعل المتعدّي،وهو كَسَرْتُ،لكنّه يقالُ لفعلٍ يدل عليه مطاوَع بفتح الواو تسميةً للشيءِ باسمِ متعلقِه([2]).

وتأتي المطاوعة على نوعين:مطاوعة ممكنة مما يصح منه الفعل،نحو:أطلقتُه فانطلقَ،ومطاوعة غير ممكنة مما لا يصح منه الفعل،نحو:قطعتُ الحبلَ فانقطع،يقول ابن جنّي في إيضاح هذين النوعين:"ومعنى المطاوعة أن تريد من الشيء أمرًا ما،فتبلُغَه إمّا بأنْ يفعلَ ما تُريدُه إذا كانَ ممّا يصحُ منه الفعلُ،وإمّا أنْ يصيرَ إلى مثلِ حالِ الفاعلِ الذي يصحُّ منه الفعلُ وإن كان ممّا لا يصحُّ منه الفعل. فأمّا ما يطاوعُ بأن يفعلَ هو فعلا بنفسِه،فنحو قولك:(أطلقتُه فانْطَلق)،و(صَرفتُه فانْصَرف)،ألا ترى أنه هو الذي فعل الانطلاق والانصراف بنفسه عند إرادتك إيّاهما منه أو بعثِكَ إيّاه عليهما،فأما ما تبلغ منه مرادك بأن يصير إلى مثل حال الفاعل الذي يصح منه الفعل، فنحو قولك:(قطعتُ الحبلَ فانقطع،وكسرت الحُبّ فانكسر)،ألا ترى أن الحُبَّ والحبل لا يصحّ منهما الفعل،لأنه لا قدرة لهما،وإنما أردتَ ذلك منهما فبلَغْتَه بما أحدثتَه أنت فيهما،لا أنهما تولَّيا الفعلَ،لأنّ الفعلَ لا يصحُّ من مثلهما،إلا أنهما قد صارا إلى مثل حال الفاعل الذي يصحُّ منه الفعل،وذلك أن الفعل صار حادثًا فيهما كما كان حادثًا في الفاعلين على الحقيقة"([3]).

([1]) المطاوعة هي الموافقة،وطاوع له إذا انقاد،ومنه قوله تعالى:(فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ) سورة المائدة:آية رقم (٣٠)؛أي شجعته وأعانته وأجابته.ابن منظور: محمد بن مكرم،لسان العرب(مادة طوع)،دار المعارف، ص٢٧٢٠. وكذلك الفيروز آبادي:محمد بن يعقوب، القاموس المحيط(مادة طوع)،دار الحديث/القاهرة،ص١٠٢٤.

(٢)الجرجاني:علي بن محمد الشريف،التعريفات،دار الكتب العلمية بيروت،ط١ ، ١٩٨٣م،ج١ ،ص٢١٨.

([3])ابن جني:أبو الفتح عثمان،المنصف(شرح كتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري)،تحقيق إبراهيم مصطفى،وعبدالله أمين،وزارة المعارف العمومية/إدارة إحياء التراث القديم،ط١ ،١٩٥٤م، ج١ ،ص٧١ ، ٧٢.

وللمطاوعة خصائص تركيبية،وصرفية،ودلالية؛فأما الخصائص التركيبية،فتتجلى في ارتباط بنية الفعل المطاوَع ببنية الفعل المطاوِع تركيبيًّا،ففي قولنا:(انكسر الزجاج)اشتقاق من(كسر الرجل الزجاج)،كما تتجلى في ارتباط فاعل المطاوعة بفعله؛حيث إنّ فاعل المطاوَعة إما أن يكون حقيقيًّا،يدل على أنه فَعَل الفِعلَ وأنّ الفِعلَ وقع عليه أيضًا،"ويسمى اللغويون المحدثون مثل هذه الظاهرة الانعكاس،فكأن الفاعل المطاوع هنا يفيد الانعكاس،وهو بذلك يقوم مقام الفاعل والمفعول إذا كانا لشيء واحد،نحو أطلقت زيدًا فانطلق زيدٌ،أي أن الإطلاق وقع من زيدٍ وانعكس على زيدٍ أيضًا،ونحو:صرفت الولدَ فانصرف الولدُ،أي أن الصرف وقع من الولد وانعكس عليه"([1]).وإما أن يكون مجازيًّا لا يصلح منه الفعل،"وهو المفعول به الذي أُسند للفعل ليدل على حدوث أثر العمل الذي دل عليه الفعل،نحو: كسر الولدُ الإناءَ فانكسر الإناءُ،فالفعل انكسر يدل على عمل هو حدوث الكسر، وأن هذا العمل ترك أثرًا في الإناء،فالإناء وهو الفاعل المطاوع قد تأثر بالكسر الذي يدل عليه الفعل،وهذا هو السبب في إسناد الإناء إلى الفعل بالرغم من أنه لا يصح إسناده للفعل"([2]).

وأما الخصائص الدلالية فتتجلى في التأثر والتأثير؛ذلك أنّ المطاوعة في حدودها المعرفية تعتمد على الانتقال من الفعل إلى شيء يلزمه وهو التأثر؛أي أن المنتج الصياغي ينتقل من معنى الفاعل الحقيقي إلى معنى حدوث الأثر(حدوث الفعل ومن تأثر به)؛ذلك أنّ أحد الفعلين المتلاقيين في الاشتقاق يدل على تأثير، والآخر يدل على قبول فاعله لذلك التأثير؛مثل:علمته فتعلم،فالفعل الأول(عَلّمْتُ) يسمى مطاوَعًا بفتح الواو، والفعل الثاني(تَعَلّم) طاوَعه وقبِل الأثر ولم يمتنع على الفعل الأول؛ لذا يسمى مطاوِعًا بكسر الواو.والمطاوَع في الحقيقة هو المفعول به الذي صار فاعلا،نحو قولك:(كَسَرْتُ الزّجَاجَ فانْكَسَر)[الزجَاجُ]،فالزجاجُ هو المطاوَع، لكنهم سمّوا فعله المسند إليه مطاوَعًا

([1])حسنين:صلاح الدين صالح ،أبنية المطاوعة في العربية: دراسة في ضوء نظرية الحالة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد ١١٤ نوفمبر – ذوالقعدة ٢٠٠٨م / ١٤٢٩هـ ،ص٥٥.
([2]) حسنين:صلاح،أبنية المطاوعة في العربية،مرجع سابق،ص٥٥ ،٥٦.

مجازًا([1]).وهكذا أصبحت بنية المطاوعة مفهومًا يُفسِّرُ به بعض الأفعال التي تخرج إلى معان أُخر،ففي قولنا:(كَسَرْتُ الزّجَاجَ فانْكَسَر)[الزجاجُ]،دلّت صيغة المطاوعة على أن الزجاجَ تأثرَ بالكسرِ.ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أنّ فِعْلَي المطاوعة قد يتلاقيان اشتقاقًا في مبنى واحدٍ أصليٍّ،نحو: كَسَرْتُه فانْكَسَر،وقد يختلفان في المبنى ويلتقيان في المعنى،نحو قولهم:طردته فذهب،"ولا يقولون:فانطرد ولا فاطرد، يعني أنهم استغنوا عن لفظه بلفظ غيره إذ كان في معناه"([2]).

بينما تتجلى الخصائص الصرفية في بنية المطاوعة وأوزانها؛ذلك أنّ **منها ما يأتي على وزن(فَعَل)**،وهو يطاوع فعلاً ثلاثيًا مجردًا،وفعلاً مزيدًا بالهمزة،من ذلك قول الله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (سورة البقرة :الآية ٢٥٨). ففي الآية الكريمة:الفعل(**بُهت**) فُعِلَ مطاوع (**بَهَتَ**)فَعَلَ."يُقالُ:بَهَتَهُ فَبُهِتَ،وفِيهِ ثَلاثُ لُغاتٍ:بُهِتَ الرَّجُلُ فَهو مَبْهُوتٌ، وبَهَتَ، وبَهِتَ"([3]).

إنّ أيَّ فِعلٍ آخرَ غير(بُهِتَ)يُمِيتُ السّياقَ القُرآنِيَّ،ويفقدُه حَيويَّتَه وإيقاعه؛ذلك أنّ توظيفَه فِي السِّياقِ جَاءَ ضِمنَ صُورةٍ حيّة متحرّكة تُثيرُ الوُجدانَ،وتحفّزُ العقلَ وتروّضُه على التزامِ القصدِ والاعتدالِ،وذلك في حوارٍ عجيبٍ بين الكفرِ والإيمانِ.ومن ثمّ كانت الكناية بالفعل(بُهِتَ) كنايةَ تعريضٍ بذلك الملك وعجزِه عَن الجَواب لِاستِيلاءِ الحُجَّةِ عليه؛ذلك أنّ الكِبْرَ قد تَمَلَّكَه،فَأَبَى أَن يرجِعَ إِلَى الحَقِّ ويلتَمسَ الهُدى،فبَهتَه اللهُ

([1])انظر الأستراباذي:الرضي،كتاب شرح شافية ابن الحاجب،تحقيق محمد نور الحسن،ومحمد الزفزاف،ومحمد محيي الدين عبدالحميد،دار الكتب العلمية بيروت،ج١ ،ط ١٩٨٢م، ص١٠٣.

([2]) سيبويه:أبو بشر عمرو بن عثمان،الكتاب،تحقيق عبد السلام هارون،عالم الكتب،بيروت،ج٤ ،ط ٣، ١٩٨٣، ص ٦٦.

([3])انظر الرازي: فخر الدين ، مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي/ بيروت،ط ٣ ،١٤٢٠ ه ،ج٧،ص٢٥. والفعل بُهِتَ قُرِئَ (بَهُتَ)بِفَتْح الباءِ وضَمِّ الهاء،و(بَهِتَ) بِفَتْح الأوّلى وكَسْر الثّانِيَةِ وهُما لُغَتان والفِعْلُ فِيهما لازمٌ،و(بَهَتَ) بِفَتْحِهما فَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ لازمًا أيْضًا و(الَّذِي) فاعِلُهُ،وأنْ يَكُونَ مُتَعَدِّيًا وفاعِلُهُ ضَمِيرُ(إبْراهِيمَ) و(الَّذِي) مَفْعُولُهُ .

فَبُهِتَ.وكذلك فإنّ البَهْتَ والبُهْتَانَ معنيان ضَارِبَان بقوةٍ في ذلك المِراءِ،فالذي يحاورُ إبراهيمَ عليه السّلامُ مُجَادِلًا،قد جَعلَ اللهُ فِي يَدِه السُّلطانَ والمُلكَ،لكنّه جَحَدَ تلكَ النّعْمَةَ،فوضعَ الكُفرَ مكَان الشّكرِ،وأنكَرَ وحدَانيّةَ اللهِ فِي أُلوهِيَّتِه وربُوبِيَّتِه،وادَّعَى كما يدّعي كفارُ مكة أنّ لله أندادًا لهم أثرٌ في حياتِهم؛ولهَذَا لمْ يَسْتَرسِل إبْراهيمُ في الجِدالِ معه،وإنّمَا أَحَالَه إلى قضيةٍ كونيَّةٍ مستقِرَّةٍ في النفوسِ والأذْهانِ،شاهدتْها فِطرةُ المَرءِ قَبل بَصرِه،حيثُ لسانُ الكونِ الذي يَنطِقُ بالحقِّ الذي لا مِرَاءَ فِيه.

ومن ذلك أيضًا قول الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ (سورة الفرقان :الآية ١٧). ففي الآية الكريمة:الفعل(**ضَلَّ**)فَعَلَ مطاوعُ(**أَضَلَّ**)أفْعَلَ.كَما تَقُولُ:أقْعَدْتُهُ فَقَعَدَ."وحَقُّ الفِعْلِ أنْ يُعَدّى بِـــ(عَنْ)،ولَكِنَّهُ عُدِّيَ بِنَفْسِهِ لِتَضمُّنِهِ مَعْنى(أخْطَئُوا)،أوْ عَلى نَزْعِ الخافِضِ"([1]).

والفعلُ ضَلُّوا جاءَ في سِيَاقِ الآية متعدّيًا بنفسِه،كنايةً عنْ أنّ تَفريطَهم،ونِسْيانَهم الذِّكْرِ كانَ بكَامِلِ إرادَتِهم دونَ تَضليلٍ من أحدٍ،وذلكَ سَبَبُ هَلاكِهِم؛ومن ثمّ كانَ توظيفُه متماشِيًا مع سياقِ آيِ السورةِ التي تُظهرُ التّهديدَ والوعيدَ لأهلِ البَاطلِ والضّلالِ،وتتَوعّدهم بخيبة الرَّجَاءِ والآمَالِ فِيمَن عَبدُوهُم مِن دُونِ اللهِ،وذلكَ فِي مَشهدٍ مِن مَشاهِد يومِ القِيامَةِ؛حيث الاستجوابُ الرَبَّانِيُّ الموجَّهُ إلى كُلِّ مَعبُودٍ مِن دُونِه،في مَشهَدٍ مُفْزِعٍ يَجمَعُ كَرْبًا لا يُحتمَلُ ولا يُطاقُ،ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ هَـٰٓؤُلَاءِ أَمْ هم ضَلُّوا بإرادَتِهم دُونَ إغراءٍ مِنكُم؟ويفيقُ هَؤُلاء الجُهّالُ عَلى خَيبةِ آمَالِهِم فِي آلهتِهم؛إذْ يَسْمَعُونَهم يُكذّبونَهم ويَشهَدُونَ عليهم بالكُفرِ والإعرَاضِ عن الحقِّ،ومنْ ثمَّ كَانَ

([1])انظر أبا حيان الأندلسي: محمد بن يوسف،البحر المحيط،تحقيق:صدقي محمد جميل،دار الفكر/ بيروت،ط ١٤٢٠ هـ،ج٨ ، ص٩١ .وكذلك انظر الزمخشري:أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي/ بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ ، ج ٣،ص ٢٧٠ .

وتأتي المطاوعة من هذا الوزن على النحو التالي:

الصورة الأولى:(فَعَل)(بفتح العين)اللازم يأتي مطاوعًا لـ**(فَعَـل)**المتعدي([1])،كما في قول العجاج:(قَد جَبَرَ الدِّينَ الإِلَهُ فَجَبَرْ)،"قال الأصمعي:جَبرَ اللهُ الدِّينَ فهو يَجْبُرُه،وجَبرَ الدِّينُ أيضًا،إذا فَعَلَ الدِّينُ ذلك فانْجَبَر...قوله: فجبَر يريدُ انْجبَر"([2]).

الصورة الثانية:(فَعِل) بكسر العين يطاوع**(فَعَل)** بفتح العين،نحو:(ثرَمه فثرِم،جدَعه فجدِع، وثلَمه فثلِم..)([3]).

الصورة الثالثة:(فَعَل) بفتح العين وكسرها يطاوع**(أفْعَل)**،نحو:أَدْخلتُه فدخَل،وأخْرَجتْه فخرَج([4]).

الصورة الرابعة:(فَعَلَ) يطاوع(استفعل)،نحو:استنطقته فنَطَقَ،واستكتمه فكَتَمَ،واستخرجته فخَرَج([5]).

ومنها ما يأتي على وزن(أفْعَلَ)،من ذلك قول الله تعالى:﴿**أفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وجْهِهِ أهْدى أمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾(سورة الملك:الآية ٢٢). ففي الآية الكريمة:(مُكِبًّا)اسم الفاعل من الفعل(أكَبَّ)أَفْعَلَ مُطاوِعُ (كَبَّ)فَعَلَ."يُقالُ: كَبَبْتُهُ فَأكَبَّ،ونَظِيرُهُ قَشَعَتِ الرِّيحُ السَّحابَ فَأقْشَعَ"([6]).

وقَولُه:(مُكبًّا) كنايةٌ عن حالِ المشركِ واضطِرابِه،فهو فِي تشَتُّتِ أمرِه بَين آلِهتِه التِي يَعبدُها مِن دونِ الله،وشكّه في الاستفادة منها كمن سلك طريقًا مُعوجّة،فأصبح تائهًا يتلمّسُ آثَارَ النَّاسِ لَعلّه يَهتَدِي بِهَا.وتوظِيفُ هَذه الكِنَايةِ فِي سِياقِها القُرآنِيّ غَرضُه أَنْ تُقرّبَ إلى

([1])انظر الوهيبي:صالح بن سليمان،المطاوعة معناها وأوزانها،مجلة جامعة الملك سعود،كلية الآداب، مج ٦،ع٢، سنة ١٩٩٤، ص ٢٥ .

([2])العجاج:عبدالله بن رؤبة،ديوان العجاج(رواية الأصمعي وشرحه)،تحقيق عِزة حسن،دار الشرق العربي /بيروت لبنان، ط١٩٩٥م، ص ٦٣ ،٦٤.

([3])انظر السيوطي: جلال الدين،همع الهوامع ،تحقيق عبدالعال سالم،دار البحوث العلمية /الكويت،ج ٦، ط١٩٨٠م، ص ٢١.

([4])انظر سيبويه: الكتاب،مصر سابق، ص ٦٥.

([5])انظر المبرد:أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب،تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/ لجنة إحياء التراث الإسلامي/القاهرة،ط١ ،١٩٩٤ م،ج٢،ص١٠٤.

([6])انظر الرازي: فخر الدين،مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)،مصدر سابق،ج٣٠،ص٥٩٤ .

الأذهانِ حالَ الشّقِيّ الضّالِّ المَنكُودِ،المَحرُومِ من هدايةِ الله؛إذ يسيرُ في طريقٍ يُغَايرُ حَركَةَ هذا الوجُودِ،وحياةَ الإيمانِ والاستقامةِ،وهي كنايةٌ على طريقَةِ الاستعَارةِ،فقد استعار لحالته في تشتته وتقسّم أمره وتشككه حال المُكِبِّ عَلى وجْهِهِ يَتَوَسَّمُ حالَ الطَّرِيق،فهو المُنْحَنِي المُطأطِىءُ يقتفي آثار السّائِرين لَعلَّه يَعْرِفُ الطَّرِيقَ التي تبلّغَه إلى المراد والمقصود،وتلك حال قريبة إلى أذهانهم،مأخوذة من طبيعة حياتهم في الصحراء،حيث الطرق الوعرة،واقتفاء الآثار.إنّه سِياقٌ فِي مقَابِل السَّياقِ السَّابقِ فِي آي السّورةِ الذِي عَرضَ تَبَجُّحَ أَهلِ الكُفرِ وَإعْراضَهم،وَهُو إذْ يُحَاولُ أَنْ يَتلمَّسَ فِيهم الفِطرَةَ السّلِيمَةَ،فيَنْصَاعُوا إلَى الحَقِّ؛فتَارةً يُهَدِّدُ وَيُنْذِرُ،وتَارةً يَدعُوهُم إلى التّأَمُّلِ والتّفَكُرِ،ثُمَّ فِي هَذِه الآيةِ يَعقِدُ لَهم مُقَارَنةً بينَ حَالِهم وَحَالِ أهلِ الإيمَانِ فِي صورةٍ حيّةٍ تجسّم لهم حقيقةَ أمرِهم،أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وجْهِهِ أهْدى أمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ؟.

وتأتي المطاوعة من هذا الوزن على النحو التالي:

الصورة الأولى:(أفْعَلَ)يطاوع**(فَعَل)**نحو:(قَشَعَ الريحُ السحابَ فأقْشَعَ).

الصورة الثانية:(أفْعَلَ)يطاوع**(فَعّل)**نحو:بشَّرتُه فأبْشَر،وفطَّرتُه فأفْطَر([1]).

ومنها ما يأتي على وزن(افْتَعَل)؛من ذلك قول الله تعالى**قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾(سورة البقرة : الآية ١٦). ففي الآية الكريمة:(الاشْتِراءُ)افْتِعالٌ مِنَ(اشْتَرى)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(شَرَى)فَعَلَ. و(المُهْتَدِي)اسْمُ فاعِلٍ مِنَ(اهْتَدى)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(هَدَى)فَعَلَ."فاشْتَرى وابْتاعَ(افْتَعَلَ)،ولا يَكُونُ افْتَعَلَ المُطاوِعُ إلّا مِنَ المُتَعَدِّي"([2]).

([1])انظر ابن الحاجب النحوي:أبو عمرو عثمان بن عمر،الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف إحياء التراث الإسلامي ، بغداد، ج٢ ، ط ١٩٨٣،ص١٢٧.

([2]) الألوسي: شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري،دار الكتب العلمية / بيروت،ط١، ١٤١٥ هـ ، ج١، ص١٦٤.وانظر كذلك ابن عاشور: محمد الطاهر ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، الدار التونسية للنشر - تونس ،ط ١٩٨٤ هـ ، ج ١ ، ص٢٩٨ .

وقوله:(اشْتَرَوُا)وظّفَ للكنايةِ عن سُوءِ مَسْلَكِهِم فِي الضّلالِ وَالغَيِّ بِسُوءِ مَسْلَكِ مَنْ أراد الرِّبحَ في تِجارتِه فَوَقَعَ في الخَسَارةِ،وقوله:(وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ)وُظِّفَ للكِنايةِ عن سَفَهِ الرَّأْيِ والحُمق.وسِياق هَذِه الآيةِ جاءَ في سِلسِلَة الحَدِيثِ عَن المُنَافِقِينَ الذينَ ظَنُّوا أنفُسَهُم أَذكِيَاءَ أدْهِياءَ،وهُمْ عَلَى قَدرٍ كَبيرٍ مِن الغَفلَةِ والبَلادَةِ،كمَا أنَّهم يَدّعُون الصّلاحَ وهُم مُفسِدُون،وينسِبُون السَّفَهَ للمؤمنين مُسْتَهْزِئِينَ،وإنّما كانُوا هُمُ السُّفَهَاءَ المُسْتَهْزَأَ بِهم،وهذه خصالٌ إنّمَا تتوفّر للمنافقين خاصةً دونَ غيرِهم،ولعلَّ ذلك سببُه أنّهم اشْتَروا الضَّلالةَ بالهُدى،الذي هو مبذولٌ إليهم جبِلّة وفِطرةً،ومؤيّدًا بالأَدِلّةِ،والأَمَاراتِ،والمُعجزَاتِ،لكنّهم استَحَبُّوا العَمَى والتِّيهَ،فبَاعوا الهُدى الذي بين أَيدِيهم،وهو بمثَابَةِ الشّيءِ العَينِيّ(المُثَمَّنِ)،في مقابلِ الضَّلالِ،وهو بمثَابَةِ الثَّمَنِ،فخَسِرُوا الصفقةَ بأكمَلِها؛رِبْحًا ورأسَ مالٍ؛ذلك أنّهم ضَيَّعُوا الربحَ المُحَقَّقَ عن رأسِ المَالِ حين أضَاعُوا رَأسَ المالِ ذاتَه،وذلك أبشعُ الخَسائر.

ومنه ـــ أيضًا ـــ قول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة الأحزاب :الآية ٤٩). ففي الآية الكريمة: الفعل (تَعْتَدُّونَ)من الفعل(اعْتَدَّ) افْتَعَلَ مُطاوِعُ(عَدّ)فَعَلَ."يُقالُ:عَدَّ الدَّراهِمَ فاعْتَدَّها أي اِسْتَوْفى عَدَدَها،نَحْوَ قَوْلِكَ:كِلْتُه فاكْتَلْتُه،ووَزَنْتُهُ فاتَّزَنْتُهُ"([1]).

وكلمةُ تَعتَدُّونَهَا وُظّفَتْ للكنايةِ عن ضَرُورَةِ حفظِ الأَنْسَابِ،وتُومِئُ إلى أنَّ العِدَّةَ حَقُّ الزوجِ يَمْلِكُ مُراجَعَةَ زوجِه فيها.وسياق الآية يتَمَاهَى مع سياق السورةِ العامِّ؛حيثُ التّعنُّتُ والتّكَلُّفُ من بعضِ الأزواجِ في إلحَاقِ الأَذَى بالمُطَلّقةِ التي لم يَبْنِ بِها.وفي ذلك تأسِيسٌ لبعض القواعدِ المجتمعيّة العامّة التي تنظّم الحياةَ الاجتِمَاعيَّة لهذه الأمَّةِ؛ومنها تنظيمُ الحياةِ الزَّوجيّة،فجاءَ سياقُ الآيةِ لإيضَاحِ حُكْمِ المطلَّقَات قبل البناءِ بهنّ؛فيقرّرُ أنّه لا عِدّة لها طَالمَا أنّه لم يكُن دُخولٌ بِها،فالعدّةُ إنّما جُعلتْ لاستبراءِ الرّحِم من الحَملِ؛حِفاظًا لِلأنْسَابِ

([1]) الألوسي: شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مصدر سابق ، ج١١، ص٢٢٥ .

من الاختلاطِ،فإذا انْتَفى الدُّخُول تَنتَفِي العِدَّةُ،فلا انْتظارَ للمُطلّقة في تلك الحَالةِ،ولا يَجُوز التعنّتُ معَها أو تعْوِيقُها عن استئنَافِ حياةٍ زوجيّةٍ أخْرى.

ويأتي هذا الوزن دالًّا على المطاوعة على النحو التالي:

الصورة الأولى:(افتعل) يطاوع(**فَعَل**) الثلاثي المجرد بشرط أن يكون فاء الفعل أحد الأحرف التي جمعت في كلمة(ولنمر) نحو:التأم مطاوعًا لـــ(لأَمَ)،وانتصر مطاوعًا لـــ(نصر)،وارتفع مطاوعًا لـــ(رفع)،فإن لم يبدأ الفعل بأحد هذه الأحرف،فإن افتعل يأتي مطاوعًا للفعل أصالة مثل:جمعته فاجتمع،وشويته فاشتوى.

الصورة الثانية:(افتعل)يطاوع(**فعّل**)مضعف العين نحو:قرّبتُه فاقْترَب،ونصّفتُه فانتصَف([1]).

الصورة الثالثة:(افتعل) يطاوع(**أفْعَل**) الرباعي نحو:أَنْصفتُه فانْتصَف، وأشْعلتُه فاشْتعَل([2]).وقد أوردت بعض المعاجم اللغوية صورتين أخريين لمطاوعة(**افتعل**)**نحو** مطاوعته(**افْتَعل**)؛كاجْتَثَّه فاجْتَثّ، وكذلك مطاوعته(**فاعل**) كغايظه فاغتاظ وتغيظ([3]).

ومنها ما يأتي على وزن(انْفَعَل)،ويتميز هذا الوزن بلزومه معنى المطاوعة،وهو كثير الورود في القرآن الكريم،من ذلك قول الله تعالى﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (سورة البقرة: الآية ٦٠). ونحوه قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ ﴾ (سورة الأعراف:الآية ١٦٠).

([1])انظر السلسيلي: محمد بن عيسى، شفاء العليل في إيضاح التسهيل،،تحقيق الشريف عبدالله،المكتبة الفيصلية/مكة المكرمة، ج٢،ط١ ،١٩٨٦م ،ص ٨٤٩.وانظر كذلك الحازمي: أحمد بن عمر،شرح نظم المقصود(الكتاب دروس صوتية قام بتفريغها موقع الحازمي http://alhazme.net) ، المكتبة الشاملة الحديثة، ج١٣(الجزء هو الدرس الصوتي)ص٧.

([2])انظر السيوطي: جلال الدين،همع الهوامع ،مصدر سابق ،ج ٦، ص ٢٦.

([3])انظر جرجيس:أيوب،أفعال المطاوعة واستعمالاتها في القرآن الكريم،مرجع سابق،ص٤٦.وانظر كذلك ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، ط دار المعارف،ص٥٤٣(مادة جثث)،وص٣٣٢٧(مادة غيظ).

ففي الآيتين الكريمتين:الفعل(انْفَجَر) انْفَعَل مطاوعُ(فَجَرَ) فَعَلَ،"والانْفِجَارُ:انْصِدَاعُ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ... مُطَاوِعُ فِعْلِ فَجَرَهُ فَانْفَجَرَ"([1]) ،والفعل(انْبَجَسَ) انْفَعَل مُطاوِعُ (بَجَسَ) فَعَل."و(انْبَجَسَتْ) مُطاوِعُ بَجَسَ إذا شَقَّ"([2]).

والسِّياقُ العَام للآيَتَين يَمضِي لتقرير رِعَايَةِ الله لبَنِي إسرائيلَ رغم انْحرَافَاتِهم؛فقد عفَا عَنهم بعد اتّخَاذِهم العِجل،وعَفَا عنهُم بعد أنْ أَخَذَتهُم الصَّاعِقةُ،وأَنْعَمَ عَليهِم بتَظلِيلِ الغَمَامِ،وإنْزَالِ المَنِّ والسّلوَى،ثمّ تتَجلّى تلك الرعايةُ في نعمةِ الرِّيِّ من عطشِ الصّحراءِ بتَفجِيرِ عُيونِ المَاءِ مِن الصَّخرِ؛الأمر الذي جَاء بمعجزةٍ خارقةٍ أجرَاهَا الله علَى يد مُوسَى عليه السَّلام،وقد جَاءَ ذلك التّفجيرُ علَى مرحلَتَيْن؛كانت أوُلَاهما انْبجَاسًا،والثانيةُ انفجَارًا، وهو شيءٌ طبيعيٌّ،إذ يبدأُ خروجُ الماءِ قليلًا ثُمّ يتّسِعُ ويتَدفّقُ.ولمّا كَانَ سيَاقُ الآيةِ الأُولى سِياقَ رِضًا من الله عَزّ وَجَلّ،كَنَّى بالانفجَارِ عَن كَثْرةِ المَاءِ واتسَاعِه كِنَايةً ترمزُ إلى مَقامِ التّكريمِ،والتنعِيم،والتفضُّلِ،فِي حِين جَاءَ سياقُ الآيةِ الثّانيةِ سياقَ سُخْطٍ من الله،ولهَذا كَنّى بالانْبجَاسِ عَن قِلةِ المَاءِ وانحِصَاره كنايةً ترمزُ إلى مقَامِ التّوبيخِ،والتقرِيعِ.

ومنه أيضًا قول الله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة يس: الآية ٤٠). ففي الآية الكريمة:الفعل(يَنْبَغِي)مضارع(انْبَغَى) انْفَعَل مُطاوِعُ(بَغَى) فَعَلَ،"يُقالُ:بَغاهُ فانْبَغى لَهُ فَإثْباتُ الانْبِغاءِ يُفِيدُ التَّمَكُّنَ مِنَ الشَّيْءِ فَلا يَقْتَضِي وُجُوبًا،ونَفْيُ الانْبِغاءِ يُفِيدُ نَفْيَ إمْكانِهِ،ولِذَلِكَ يُكْنى بِهِ عَنِ الشَّيْءِ المَحْظُورِ"([3]).

وقوله:(لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ)كنايةٌ عن انْفِرادِهِ تَعالى بِالخَلْق والتَّدْبِيرِ.وقد وظّفَتْ في سِياقِ الآيةِ تماشِيًا مَع السِّياقِ العَامِ للسورةِ،وهُو إقرارُ رُبُوبيّةِ الله(عزّ وجَلّ)في صورِها المُتَعدّدَة،ويُسلطُ الضوءَ على نعمةِ الحَياةِ ـــــ مُعجزةُ الكَونِ الكُبرَى ـــــ التي لا دَخلَ

([1])أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف ،البحر المحيط،تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر / بيروت،ط ١٤٢٠ هـ ،ج١ ، ص٣٥٣ .
([2])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق ، ج ٩ ، ص ١٤٣ .
([3])ابن عاشور: الطاهر ، التحرير والتنوير ،مصدر سابق ، ج ٢٣،ص ٢٤. وانظر كذلك الألوسي: شهاب الدين، روح المعاني، مصدر سابق ،ج 12 ،ص٢١ .

لبشرٍ فِي إجْرَائِها؛فهذِه الأرضُ المَيْتَةُ يَخرُجُ منهَا الزرعُ النَّامِي،والجِنَانُ المُثمِرةُ،وتتفَجَّرُ منْهَا العُيونُ،وتلك السَّمَاءُ بظَواهِرهَا المُنتَظِمَةِ؛حيثُ انْسلاخُ النَّهارِ مِن الليلِ،وجَرَيَانُ الشَّمسِ في فَضَاءِ الكَونِ إلى قَدَرٍ مَعلُومٍ،والقمرُ فِي مَراحِلِ نُمُوّهِ ليلةً بليلةٍ ثُمّ إذَا اكْتَمَلَ وامْتَلأَ بنُورِه عَادَ مرةً أخْرَى كَما بَدَأَ،ومِن تَمَامِ القُدرةِ انضِباطُ تلك الكَواكِبِ في هذَا النِّظامِ الكَونِيّ،فالشَّمسُ لا يُمكِنُها إدْرَاكَ القَمَرِ،والليلُ لَا يَسبِقُ النَّهَارَ ولَا يُجَارِيه ولَا يَدْفَعُه.

وتأتي المطاوعة من هذا الوزن على النحو التالي:

الصورة الأولى:(انْفَعَل) يطاوع**(فَعَل)** الثلاثي المجرد نحو:حَسَرتُه فانْحَسَر،وكَسَرته فانْكَسَر،وحَطَمْتُه فانْحَطَم، وصَرَفْتُه فانْصَرَف،وقد اختص أئمة الصرف هذا البناء بالمعالجة والتأثير،يعني أنّهم خصّوا هذا البناء بالمعاني الواضحة للحسّ دون المعاني المجرّدة عنه مختصّة بالعلم خاصّةً دونه،كأنّهم لمّا خصّوه بالمطاوعة التزموا أن تكون جليّة واضحة،فلذلك لا يقال:عَلِمْتُه فانْعَلِمَ ولا عرفتُه فانْعَرف،وكذلك ما كان مثله،ولذلك كان قولهم:انعدَمَ ليس بجيّد. وقالوا: قلتُه فانقالَ،لأنّ المقولَ معالجٌ بتحريك اللّسان والشّفتين وإخراج الصّوت،وكلُّ ذلك من باب المحسوسِ للمخاطِبِ والمخاطَبِ"(١).

الصورة الثانية:(انْفَعَل) يطاوع**(أفْعَل)** الرباعي نحو:أَزْعَجْتُه فانْزَعَج،وأَدْخَلْتُه فانْدَخَلَ،وأَغْوَيته فانْغَوَى،وأكْمَشْته فانْكَمَش(٢).وقد أوردت بعض المعاجم اللغوية صورًا أخرى لمطاوعة انفعل؛نحو مطاوعته**(فَعّــل)** مضعف العين نحو: صوّعَت الريحُ النباتَ فتصوّع وانصَاع (بمعنى مَالَ)،وفتّحَ الأبوابَ فانْفَتحت.وكذلك مطاوعته**(افْتَعَل)** نحو: اقْتَلَعْتُ الشجرةَ فانْقَلَعَت،وازْدَجرَه فانْزَجَر.وكذلك مطاوعته**(فَعْلَل)** نحو:عَطْعَطتُ الثوبَ بمعنى شَقَقْتُه، فانْعَط(٣).

---

(١)ابن الحاجب النحوي:أبو عمرو عثمان بن عمر،الإيضاح في شرح المفصل، مصدر سابق،ج٢ ،ص١٣١.

(٢)انظر ابن عصفور:أبو الحسن علي، الممتع الكبير في التصريف،تحقيق فخر الدين قباوة،مكتبة لبنان ناشرون، ج١ ، ط١٩٩٦م، ص١٣٠ ، ١٣١.وكذلك انظر أبا حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب ،تحقيق رمضان عبد التواب/ رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي،ج١ ، ط١ ،1998 ،ص١٧٢.

(٣)انظر جرجيس:أيوب،أفعال المطاوعة واستعمالاتها في القرآن الكريم،دار الإيمان/مصر ،ط٢٠٠٤م،ص٤٢ ،٤٣.وانظر كذلك القاموس المحيط، الفيروز آبادي،مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٢ سنة ١٩٨٧،ص٩٥٥ مادة (صوع)،وص ٥١٠ مادة (زجر). وكذلك انظر معجم العين، تحقيق د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، ج١ ص١٦٥ مادة (قلع)،و ص٧٨ مادة(عطط)،و ج٦ ، ص٦١ مادة(زجر).وكذلك تاج العروس للزبيدي،تحقيق عبدالستار فراج وآخرين،دار الهداية الكويت، ط١٩٦٥م ،ج ٧، ص٥ مادة(فتح).

ومنها ما يأتي على وزن(تَفَعّل)،وهو من الأوزان الرئيسة في باب المطاوعة،ويأتي لازمًا نحو:كَسّرته فتكسّر،ومتعديًا نحو:علّمتُه الصيدَ فتَعلّمه،ومما ورد في القرآن الكريم على هذا الوزن قول الله تعالى:﴿**وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَها**﴾ (سورة البقرة: الآية ٢٣٣). ففي الآية الكريمة:الفعل(تَكَلَّفَ) تَفَعَّلَ مُطَاوِعُ(كَلّفَ)فَعَّلَ؛أي كَلَّفَه فتَكَلّف،"نَحْوَ: كَسَرْتُهُ فَتَكَسَّر"([1]).

وقوله:(لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَها) كنايةٌعن وجُوبِ مُراعَاةِ القَصْدِ فِي الإنْفَاق.وهو توظيفٌ يتَّحدُ مع سياقِ الآيةِ الخاص وسياق السورةِ العام،وذلك فِيمَا يَتعَلّقُ بجُملةِ علاقاتٍ بين الزّوجَينِ؛حيث النِّكاحُ،والطَّلاقُ،والعِدَّةُ، والرَّجْعَةُ،والعَضْلُ،ولذلك فهي تعدُّ تتمةً لتلك العلاقاتِ وتُنظّمُ حَياةَ الأسرةِ بعدَ الطَّلاق،خاصّةً حَالَ الرَّضَاعَةِ، فالمُرضِعُ المُطَلّقَةُ لَا يَرغَبُ فيهَا الأَزوَاجُ؛لانْشغَالِهَا برَضِيعِها عَن زَوجِها في حَالاتٍ كثيرةٍ،ومن ثمَّ كانَ لهَا حقوقٌ عَلى وَالدِ الطِّفلِ مقَابِل ما فَرَضَ اللهُ عَليهَا؛مِن ذلك النفقةُ والكِسْوَةُ،وعليه فإنّ الزّوجَين شَرِيكَان فِي المَسؤُوليّةِ تِجاهَ المَولُودِ؛فالوالدةُ تَرعَاه وتَحتَضِنُه،والوالِدُ يَرعَاهَا ويُنفِقُ عليهَا،وكلٌّ حسبَ مَقْدرَتِه وطَاقَتِه .

ومنه أيضًا قولُه سبحانَه:﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾(سورة إبراهيم:الآية ١٧). ففي الآية الكريمة:الفعل(تَجَرّعَ) تَفَعَّلَ مُطاوِعُ(جَرّعَ) فَعَّلَ."يُقالُ:جَرَّعَهُ فَتَجَرَّعَ. وقِيلَ:إنَّهُ مُوافِقٌ لِلْمُجَرَّدِ أيْ جَرَعَهُ كَما تَقُولُ عَدا الشَّيْءَ وتَعَدّاهُ"([2]).

وقولُه:(يَتَجَرَّعُه)كنايةُ تعريضٍ بالطّغَاةِ المُتَجَبّرين،ومدى قذارةِ شَرابِهم في الجَحِيم ونتانَتِه،فَيَطُولُ عَذابُهم تارَةً بِالحَرارَةِ والعَطَشِ وأُخرى بِشُرْبِهِ عَلى تِلْكَ الحالَةِ.وهي كنايةٌ تَأتِي فِي سِياقٍ عَامٍ يَتَتبَّعُ حالَ الطُّغَاةِ حِين تَنهَزِمُ عَقِيدتُهم الباطِلةُ أمَامَ عقيدةُ

([1])انظر أبا حيان الأندلسي: البحر المحيط،مصدر سابق ، ج٢ ، ص٥٠٢.

(٢)الآلوسي: شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري،دار الكتب العلمية / بيروت،ط١، ١٤١٥ هـ ، ج٧ ، ص١٩١ .

الإيمانِ،فتَنْكَشِفُ وجُوهُهُم الخَبِيثَةُ،ويُفْرِطُونَ فِي استعمَالِ قُوّتِهم،مُحاولِينَ النَّصرَ علَى رُسُلِهم ومَن مَعَهُم مِن المُؤمِنين،وإخْراجَهم مِن أرضِهِم،لكنّ قُدرةَ اللهِ فَوقَ كُلِّ قُدرَةٍ،فَيَنْصُرُ اللهُ رُسُلَه ومنْ آمَنُوا مَعهُم،ويُهلِكُ الظالمَينَ،ويَستَخلفُ المَظلُومينَ فِي الأرضِ مِن بَعدِهِم،وهذا مِنْ سُنَنِ اللهِ الجَارِيَةِ فِي مُلكِه.ثمّ يومَ القِيامَةِ تَخِيبُ آمَالُ كلِّ جَبّارٍ عَنِيدٍ،وذَلكَ فِي مَشهَدٍ رَعِيبٍ حِينَ يَرى مَا وَرَاءَه مِن العَذَابِ الذي يَنْتظِرُه،وَهُو عَذابٌ مِن جِنسِ بَطشِه وتَجَبُّرِه عَلَى المُستَضْعَفِين،فيُسقَى منْ عُصَارَةِ أهلِ النَّارِ وخَبَالِهم،فيَتَجَرَّعُه لأنّ طَعمَه كَرِيهٌ ورائحتَه مُنتِنةٌ،ويَأتِيه المَوتُ من كلِّ نَاحيةٍ من جِسْمِه،وما هو بميّتٍ،ومن وراءِ هذا العَذابِ عذابٌ أشدُّ وأقْوى.

وتأتي المطاوعة من هذا الوزن على النحو التالي:

الصورة الأولى:(تَفعّل)يطاوع(فَعّــل)مضعف العين،نحو:عشّيتُه فتعشّى،وغدّيته فتغدّى([1]).

الصورة الثانية:(فَعَــل)الثلاثي نحو:جَمَعتُه فتَجَمّع.

الصورة الثالثة:(أفْعَل)نحو:آلمتُه فتألّم([2]).

ومنها ما يأتي على وزن(افعَلّ)،والأغلب في هذا الوزن كونه للألوان،من ذلك قول الله تعالى:﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ ﴾(سورة الكهف: الآية ٧٧).ففي الآية الكريمة:الفعل(ينْقَضّ) يفْعَلّ مضارع(انْقَضّ)انْفَعَلَ مطاوع(قضَضَ)،إذا أسْرَعَ سُقُوطُهُ مِنَ انْقِضاضِ الطّائِرِ،وقيل:(انْقَضّ)افْعَلّ مطاوع(نَقَضَ) فَعَلَ،كاحْمَرَّ مِنَ الحُمْرَةِ([3]).

كَنَّى عَنْ قِدَمِ الجِدَارِ وتَشَقُّقِه بإرادَةِ الانْقِضَاضِ عَلى طَرِيقَةِ الاسْتِعارَةِ التَّبَعِيَّةِ بتَشْبيهِ قُرْبِ سُقوطِه بالإرادَةِ التي هيَ للأحياءِ؛إذ إنّ أفعالَ الأحْيَاءِ نابعةٌ مِن مُيولِهم إلَى فِعلِها،وكذلك الجِدارُ إذَا أوشَك علَى السُّقوطِ فإنّه يميلُ إلى جهةٍ معينةٍ.وإضفاءُ الحَياةِ علَى

([1])انظر سيبويه:الكتاب،مصدر سابق،ج٤،ص ٦٦.
([2])انظر الوهيبي:صالح بن سليمان،المطاوعة معناها وأوزانها،مرجع سابق، ص ٥٢٩ .
([3])الزمخشري:أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مصدر سابق ، ج٢ ،ص ٧٣٩ . انظر كذلك الرازي: فخر الدين،مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)،مصدر سابق،ج٢١ ، ص ٤٨٨.

الجِدَارِ بِأنْ تَكونَ لَه إرَادةٌ أو مَيلٌ قَلبِيٌّ إلى فعلِ شَيءٍ،يَتمَاشَى مع السِّيَاقِ الغَيْبِيّ وجُملةِ الأَسرَارِ التي تُفَاجِئُنَا بها قصةُ مُوسَى عَليهِ السَّلامُ مَع الخضرِ،وقد سَجّلَ السِّيَاقُ القُرآنِيُّ فِي هذهِ القصّةِ ثلاثَ قَضَايَا غَيبِيّةٍ؛قَضِيَّةِ خَرْقِ السّفِينةِ،وقَضِيَّةِ قَتلِ الغُلامِ،وقَضِيَّةِ إقَامَةِ الجِدَارِ دُونَ مُقَابلٍ،وهُو سِياقٌ يلتقِي بسِياقٍ عامٍّ يحْكُمُ السورَةَ بأكْمَلِهَا؛ليؤكّدَ عَلى أنَّ مَفَاتِحَ الغَيبِ بيدِ اللهِ لَا يَعلمُها إلّا هُو،يُدبِّرُ بِهَا أمْرَ الكَونِ حَسَبَ عِلمِه وحِكْمَتِه.

وقد أوردت بعض المعاجم اللغوية صورًا لمطاوعة(**افعلّ**)؛نحو مطاوعته(**أَفْعَل**)،كأَخْضَل فلانٌ لحيتَه فاخْضَلّت،أي: ابتلّت،وكذلك مطاوعته(**فَعّل**)،كبيّضت الشيءَ فابيضّ،وكذلك مطاوعته (**افتعل**) ، كاخْتَضَره فاخضرّ([1]).

ومنها ما يأتي على وزن(افعَالّ)،من ذلك قول الله تعالى:﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ ﴾ (سورة الكهف: الآية(٧٧). وقَولُه:﴿أنْ يَنْقَضَّ﴾قُرِئَ:أنْ يُنْقَضَ مِنَ النَّقْضِ،وأنْ يَنْقاضَّ مَنِ انْقاضَّتِ العَيْنُ إذا انْشَقَّتْ طُولًا([2]).والأغلب في هذا الوزن كونه للألوان،وبذلك يكون(انْقَاضَّ)افْعَالَّ مطاوعًا(نَقَضَ)فَعَلَ.

وقد أوردت بعض المعاجم اللغوية صورًا لمطاوعة(**افعَالّ**)؛نحو مطاوعته(**فَعَل**) ،كصَهَرَ الحرُّ الحرباء فاصْهَارّ أي تَلَألَأ. كما يطاوع(**أَفْعَلَ**) نحو:أخْضَل لحيتَه فاخْضَالّت .وكذلك يطاوع(**فَعّلَ**) نحو:بيّضتُه فابْياضّ([3]).

ومنها ما يأتي على وزن(تفَاعَل)،ويأتي لازمًا نحو:دَافَعتُه فتَدَافَع،ومتعديًا نحو:نَاوَلتُه الشيءَ فتناوَلَه،نحو قول الله تعالى:﴿ **فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ**﴾(سورة القمر : الآية

([1])انظر جرجيس:أيوب،أفعال المطاوعة واستعمالاتها في القرآن الكريم،مرجع سابق،ص٥٠.وانظر كذلك معجم العين،مصدر سابق،ج٤، ص١٧٧(مادة خضل)،وكذلك تاج العروس للزبيدي،مصدر سابق،ج ١٨، ص٢٦٦ مادة(بيض)، و ج١١ ،ص١٨٨ مادة(خضر).

([2]) انظر الرازي: فخر الدين،مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)،مصدر سابق،ج٢١،ص٤٨٨ .

([3])انظر جرجيس:أيوب،أفعال المطاوعة واستعمالاتها في القرآن الكريم،مرجع سابق،ص٥١.وانظر كذلك ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق،ص٢٥١٦(مادة صهر)، وص ١١٩٠ مادة(خضل). وكذلك تاج العروس للزبيدي،مصدر سابق،ج ١٨، ص٢٦٦ مادة(بيض).

٢٩). ففي الآية الكريمة:الفعل(تَعَاطَى)تَفَاعَل مُطاوِعُ(عَاطَى)فَاعَلَ. "وهو مُشْتَقٌّ مِن:عَطا يَعْطُو،إذا تَناوَلَ"([1]).

كنّى هنا بالتَّعاطِي عن تَعَالِي قَومِ ثَمُودَ وتَكَبُّرِهم علَى أوَامِرِ اللهِ،وعَدمِ الاكْتِراثِ لعِظَمِ جُرْمِهم،وما أَقْدمُوا علَى فِعلِه.وصِيغَةُ تَفاعَلَ تَقْتَضِي المُشَارَكَةَ في الفِعْلِ وتَعَدُّدَ فاعِلِه،فكَأنَّ عَقْرَ النَّاقَةِ تَعَاطَاه القومُ جمِيعًا،وتَدَافَعُونه فيمَا بينَهُم،حتى تعاطَاه بِيَدِهِ أَشْقاهُم.وقَد وُظِّفَت الكنايَةُ فِي سِياقٍ قُرآنِيٍّ قَصَصِيٍّ يَحكِي حَلقةً من التّاريخِ تخُصُّ ثمودَ قومِ صالِحٍ،وكانتْ آيَتُه إلِيهِم خُروجَ النَّاقةِ مِن الصَّخْرَةِ،لكنَّهم كَانُوا كَالذِينَ مِن قَبْلِهِم فِي العَنَتِ والجُحُودِ؛ فَنَظرُوا إلَى شَخصٍ صالِحٍ ولَم يَنظُرُوا إلَى حَقِيقَةِ رِسَالَتِه وما يدْعُوهم إلِيهِ،فكَفرُوا وَقَالُوا:{أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ}؟ ورَاحُوا يرْمُونَه بالتُّهَمِ،فَجَاءَتْهُم الفِتْنَةُ والاختِبَارُ،فتلكَ نَاقَةُ اللهِ لَهَا يَومٌ تَنَالُ فِيه شَرابَهَا،ولَهُم يَومٌ يَنالُونَ فِيه شَرابَهم،وكَانَ صَالحٌ قَدْ حَذَّرَهُم أَنْ يَمسُوهَا بِسُوءٍ،فلَم يَكترِثُوا للتَحذِيرِ،ففُتِنُوا بِهَا ووَقَعَ البَلاءُ،وأَخَذَتْهُم صَيْحَةُ الصَّاعِقَةِ فِي مشْهَدٍ مُفْجِعٍ مُرْعِبٍ رَدًّا عَلى تَعَالِيهِم،فَصَارُوا هَشِيمًا مُحْتَظِرًا.

وتأتي المطاوعة من هذا الوزن على النحو التالي:

الصورة الأولى: يأتي مطاوعًا لـــ(فَاعَل)،"وإنما يكون(تَفَاعَلَ) مطاوع(فَاعَل)إذا كان(فَاعَل)لجعل الشيء ذا أصله،نحو: باعدته: أي بَعَّدْتُهُ،فتباعد:أي بَعُدَ"([2])؛من ذلك قول الله تعالى﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة المؤمنون : الآية ١٤. ففي الآية الكريمة:الفعل(تَبارَكَ)تَفاعَلَ مُطاوِع(بارَكَ) فَاعَلَ."فَكَأنَّها بِمَنزِلَةِ(تَعالى وتَقَدَّسَ)، مِن مَعْنى البَرَكَةِ"([3]).

كنّى بالفِعلِ تَبَارَكَ ـــــ بوصْفِه بُؤرَةَ الكِنَايَةِ ـــــ فِي هَذا السِّياقِ القُرآنِيِّ عن حَقِيقَةٍ مُطلَقَةٍ عَقَبَ الحَدِيثِ عَن الحُسْنِ المُطْلَقِ فِي مَراحِلِ خَلْقِ الإنسَانِ وَأَطْوارِه المُعْجِزَةِ،وهي

([1])ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق ،ج ٢٧ ، ص٢٠١.وانظر كذلك أبا حيان الأندلسي: البحر المحيط، مصدر سابق،ج ١٠ ، ص ٤٤.وكذلك ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،مصدر سابق،ج ٥،ص ٢١٨ .

([2])الأستراباذي:الرضي،كتاب شرح شافية ابن الحاجب،مصدر سابق،ج١ ، ص١٠٣.

([3])ابن عطية: أبو محمد عبد الحق،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،دار الكتب العلمية/ بيروت،ط١ ، ١٤٢٢ ه ج ٤، ص١٣٨.

أنّ اللهَ هُو المُستَحِقُّ لِلتَّعْظِيمِ والثَّناءِ؛فَقدْ كَانَ بَدءُ خَلْقِ آدمَ مِن طِينٍ،ثمَّ كانَ نَسلُه وَذَرِّيَّتُه مِن مَاءٍ مَهِينٍ مُستَقِرٍّ فِي رَحِمِ الأُمِّ نُطْفَةً بَيضَاءَ،ثُمّ خَلَقَهَا اللهُ قَطعَةً مَن الدَّمِ الجَامِدِ،ثمَّ أَحَالَهَا قِطْعَةَ لَحْمٍ قَدْرَ مَا يُمضَغُ،فَشَكَّلَ لهَا هَيكَلًا مِن عَظْمٍ وَعَصَبٍ،فَكَسَى اللهُ الهَيكَلَ لَحْمًا،ثمّ صَيّرَه خَلقًا آخرَ بنفْخِ الرُّوحِ فِيهِ،فتَعَالَى اللهُ أَحْسَنُ المُصَوِّرِينَ؛لِذَا كَانَ خَلْقُ الإِنْسانِ دَلِيلًا عَلَى بَدِيعِ القُدْرةِ،وَمِن ثَمَّ فَإنّ التَعقِيبَ بالثَّنَاءِ يكَونُ ثَناءً مُشْتَقًّا مِنَ البَرَكَةِ.

ومنه كذلك قوله تعالى:﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ**﴾(سورة النجم : الآية ٥٥). ففي الآية الكريمة:الفعل(تَمَارَى)تَفَاعَل مُطاوِعُ(مَارى)فَعَلَ. "والآلاءُ:النِّعَمُ،وهو جَمْعٌ مُفْرَدُهُ:إِلًى، بِكَسْرِ الهَمْزَةِ وبِفَتْحِها مَعَ فَتْحِ اللّامِ مَقْصُورًا، ويُقالُ: إِلْيٌ، وأَلْيٌ، بِسُكُونِ اللّامِ فِيهِما وآخِرُهُ ياءٌ مُتَحَرِّكَةٌ، ويُقالُ: أَلْوٌ، بِهَمْزٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَها لامٌ ساكِنَةٌ وآخِرُهُ واوٌ مُتَحَرِّكَةٌ مِثْلُ: دَلْوٍ.والتَّمارِي: التَّشَكُّكُ وهو تَفاعُلٌ مِنَ المِرْيَةِ "([1]).

وهذَا السِّياقُ القُرآنِيُّ يَلمِسُ القَلبَ،ويَجُولُ به لِيُرِيَه آثَارَ قُدرَةِ اللهِ فِي الآفَاقِ وفِي النّفسِ البَشَرِيَّةِ مِن نَاحِيةٍ،وفِي مَصَارِعِ الأُمَمِ الغَابِرةِ مِن نَاحِيةٍ أُخرَى،وذلكَ فِي صُورٍ مُنْبَثِقَةٍ نَاطِقَةٍ تُثِيرُ الوُجْدَانَ،وتَصِلُ إِلَى أَعْمَاقِ النّفسِ.وهُوَ سِيَاقٌ يَجْمَعُ كِنَايَتَينِ؛فالاستِفْهَامُ بِأَيّ يُكَنَّى بِه عَنْ تَسَاوِي النِّعَمِ والنِّقَمِ؛ذلكَ أَنَّ النِّقَمَ نِعَمٌ لأَنَّهَا تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا العِبَرَ والعِظَاتِ لِلأَنْبِيَاءِ والصَّالِحِينَ.وفِي الفِعْلِ(تَمَارَى)كِنَايةٌ عن استِحَالَةِ الشَّكِ فِي نِعَمِ اللهِ،فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مَنْ يَشُكُّ في بَعْضِ الغَيْبِيَّاتِ،فَليسَ بِإمكَانِه الشَّكَّ في تِلكَ الآثَارِ.

<u>الصورة الثانية</u>:(تفاعَل) يطاوع **(فَعَل)**،نحو:دَفَعتُه فَتَدَافَع،ومنه قول المنخل اليشكري:(فَدَفَعْتُهَا فتَدَافَعَتْ...مَشْيَ الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ)([2]).

ومنها ما يأتي على وزن(اسْتَفْعَل)،ويأتي مطاوعًا لـ**(أَفْعَل)**نحو:أَحْكَمَه فاسْتَحْكَم([3])،ولا يأتي إلا لازمًا إن كان للمطاوعة، نحو قوله تعالى﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

([1])ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق ،ج ٢٧ ، ص١٥٦ .
([2])التبريزي:أبو زكريا يحيى،شرح ديوان الحماسة، دار القلم/ بيروت،ج١ ،٢٠٤.
([3])انظر السيوطي:جلال الدين،همع الهوامع ،مصدر سابق ،ج ٦، ص ٢٨.

﴾(سورة آل عمران : الآية ١٧٠).ففي الآية الكريمة: الفعل (يستَبشرُ) مضارع (استَبشرَ)مطاوع(أَبْشَر)أَفعَل،"يقال: أبْشَرَهُ اللَّهُ فاسْتَبْشَرَ...فَحَصلَتْ لَهُ البُشْرى بِإبْشارِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ"([1]).

إنَّه سِيَاقٌ حَافِلٌ بالإيحَاءَاتِ العَمِيقَةِ،التِي تَربطُ علَى قُلوبِ العُصْبَةِ المُؤمِنَةِ،خَاصَّةً بعدَ مُحَاوَلةِ المُنَافِقِينَ زَعْزَعَةِ صَفِّهم،وإدْخَالِ الشَّكِّ إلَى قُلوبِهم بَعدَ أحْدَاثِ أُحُد،وذلكَ بِقَولِهِم عَن القَتْلَى:لَو أَطَاعُونَا وقَعَدُوا مَا قُتِلُوا،فَأَرَادَ اللهُ أنْ يُثْلِجَ صُدُورَ المُؤمِنِينَ بِالكَشْفِ عَن حَقِيقَةِ حَيَاةِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُم أَحْيَاءٌ عندَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ؛ولِهَذَا كَانَت الكِنَايةُ بقوله:(وَيستَبشِرُونَ)كنايةَ تعريضٍ بشُهدَاءِ أُحُدٍ وبدْرٍ؛وبأنّهم أحْيَاءٌ مَوصُولُونَ بإخْوَانِهم مِمّن لمْ تُكْتَبْ لَهُم الشَّهَادَةُ، مسْرُورُونَ بِتَلَقِّيهِم فَيْضِ رَبِّهِم .

وقد أوردت بعض المعاجم اللغوية صورًا لمطاوعة(استفعل)أوزانًا أخرى،نحو مطاوعته(فَعّل)الثلاثي المجرد، كوَسَقَ الإبلَ فاسْتَوسَقَت،أي طردها فأطاعت.وكذلك مطاوعته(فَعّل) مضعف العين نحو:وَسَّعْتُ البيتَ وغيرَه فاتّسَعَ واسْتَوسَع([2]).

ومنها ما يأتي على وزن(افْعَوْعَلَ)،واستعماله للمطاوعة قليل،وهو يطاوع(**فعل**)الثلاثي المجرد نحو:ثَنَوتُه فاثْنَونى([3])، ويطاوع أيضًا(أَفْعَل)نحو:أَفْعَمت البيتَ برائحةِ العودِ فافْعَوعَم([4])،من ذلك قول الله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥ ﴾ (سورة هود : الآية ٥). فالفعل(يَثْنُونَ) مضارع الفعل(اثْنُونَى)افْعَوْعَلَ مُطاوِع(ثَنَى)فَعَل،"يُقالُ:ثَناهُ فانْثَنى واثْنُونى،كَما صَرَّحَ بِهِ

([1])انظر أبا حيان الأندلسي:البحر المحيط،مصدر سابق،ج٣ ،ص ٤٣١ .
([2])انظر جرجيس:أيوب،أفعال المطاوعة واستعمالاتها في القرآن الكريم،مرجع سابق،ص٥٤.وانظر كذلك ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ص ٤٨٣٧ مادة(وسق)،و ص٤٨٣٥(مادة وسع) .
([3])انظر السلسيلي: محمد بن عيسى، شفاء العليل في إيضاح التسهيل،،مصدر سابق، ج٢،ص ٨٥٠.
([4])انظر جرجيس:أيوب،أفعال المطاوعة واستعمالاتها في القرآن الكريم،مرجع سابق،ص٥٤.وانظر كذلك الأزهري:أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث العربي - بيروت ،ط١، ٢٠٠١م ،ج٣، ص١٥، باب العين والفاء.

ابْنُ مالِكٍ في التَّسْهِيلِ، فَقالَ: وافْعَوْعَلَ لِلْمُبالَغَةِ.فالمَعْنى أنَّ صُدُورَهم قَبِلَتِ الثَّنْيَ ويُؤَوَّلُ إلى مَعْنى انْحَرَفَتْ"([1]).

والآيةُ وَارِدَةٌ فِي سِيَاقٍ يَستَهدِفُ تَرسِيخَ حقَائِقَ عَقديّةٍ في الإيمَانِ بِربُوبِيَّةِ اللهِ،وإحاطَةِ علمِه بأحوالِ عبادِه في السَّرِّ والعَلَنِ،ويَعجَبُ مِن تَوَهُّمِ أَهْلِ الشِّركِ حِينَ يُضَاهُونَ صِفَاتِ اللهِ بصفاتِ البَشرِ،ويَظُنُّونَ أَنَّ اللهَ لا يَرَى مَلامِحِ وجُوهِهم حِينَ يُحْنُونَ ظُهُورَهم لِحَجْبِها عن النَّبِيِّ ﷺ عِندَ رُؤيَتِه وسَمَاعِ القُرآنِ،أَو أَنَّهُم يَخْفَوْنَ عَلَى اللهِ حِينَ يَدْخُلونَ بُيُوتَهم ويُسْدِلُونَ عَليهِم الأَستَارَ،أو أنّهُ لا يَعْلَمُ سِرَّهم حِينَ لا يَتَكَلَّمُونَ بِمَا فِي صُدُورِهم؛ولِهذا جاءَ قَولُه:(يَثْنُونَ)كنايةً عَنْ إعْرَاضِهم عَنْ الحَقِّ.

ومنها ما يأتي على وزن(تفعْلَلَ)،رباعي مزيد بالتاء،وهو في أغلب أحواله دال على المطاوعة،حيث يأتي مطاوعًا لـــ(فعْلَلَ)،نحو:دحرجتُه فتَدَحْرَجَ،وقَلْقَلتُه فتَقَلْقَلَ،ومَعْددتُه فتَمَعْدَدَ،وصَعْرَرتُه فتَصَعْرَرَ([2])،ويلحقه في هذا الحكم ما ألحق به إن كان متعديًا،سواء في ذلك ما كان على وزن(**فَعْلَلَ**) كجَلْبَبَه فتَجَلْبَبَ،أو(**فَعْنَلَ**) كقَلْنَسَه فتَقَلنَس،أو(**فَيْعَلَ**) كبَيْطَرَ،أو(**فَعْلَى**) كسَلقاه فتَسَلقَى،أو(**فَوْعَلَ**)كجَوْرَبَه فتجَوْرَبَ([3]).**ومنها ما يأتي على وزن (افْعَلَلّ)**،وهو وزن رباعي مزيد بحرفين يطاوع الرباعي المجرد(**فَعْلَلَ**) نحو:قَشْعَرْتُه فَاقْشَعَرّ،وطَمْأَنْتُه فاطْمَأَنّ([4]). **ومنها ما يأتي على وزن(افْعَنْلَل)**،وهو وزن رباعي مزيد بحرفين يطاوع الرباعي المجرد(**فَعْلَلَ**) تحقيقًا نحو:حَرْجَمتُ الإبلَ فاحْرَنْجَمت أي اجتمعت،أو تقديرًا نحو:برشقته فابرنشق أي تبسّط فرحًا([5]).**ومنها ما يأتي على وزن(افعَنْلَى)**،وهو ملحق بالرباعي إذ الألف المقصورة في آخره للإلحاق،وهو يطاوع الرباعي المجرد(**فَعْلَلَ**)أيضًا،نحو:سَلْقَيتُه(ألقيته على قفاه) فاسْلَنْقَى([6]).

([1]) الآلوسي: شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مصر سابق،ج٦ ،ص ١٩٧ .
([2])انظر سيبويه:الكتاب،مصدر سابق،ج٤،ص ٦٦.
([3])انظر الوهيبي:صالح بن سليمان،المطاوعة معناها وأوزانها،مرجع سابق، ص ٥٣٠ .
([4])انظر السلسيلي: محمد بن عيسى، شفاء العليل في إيضاح التسهيل،،مصدر سابق، ج٢،ص ٨٥١.
([5])انظر المصدر السابق،الجزء نفسه،والصفحة نفسها.
([6])انظر الأستراباذي:الرضي،كتاب شرح شافية ابن الحاجب،مصدر سابق،ج١ ، ص٦٨.

وعلى الرغم من تعدد الخصائص التركيبية،والدلالية،والصرفية للمطاوعة،فإن السياق المقامي يظل هو المعيار الواضح لتمييز التركيب المطاوع من غيره.

المحور الثاني: كنائيةُ الفعلِ المطاوعِ في التعبيرِ القرآنيِّ

تعتمد الكناية([1])على تجاوز ذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه،أي أن المعنى الحقيقي والمجازي مطروحان في السّياق فإذا لم يتحقق هذا التجاوز،فإن المنتج الصياغي يظل في دائرة الحقيقة،مع الاحتفاظ للمنتج الموازي بحق الحضور التقديري،لأن في تغييبه انتقال من بنية الكناية إلى بنية المجاز،وهو ما يؤكد وقوع الكناية في منطقة وسطى بين طرفي الحقيقة والمجاز،فلا يمكن الميل بها إلى أحدهما،لأن اللفظ قد أنتجهما معًا([2]).

ولا جدال في أنّ كنايات الصِّيغةِ الفعليّة المطاوعة وما ينتج عنها من تغيُّراتٍ في الدّلالةِ ظاهرة أسلوبية طريفة من ظواهر التعبير القرآني لا يفطن لجميلها والنادر منها ومعرفة غرضها البلاغي،إلا ذو بصيرة لمَّاح؛ ذلك أنها تعتمد التعبير بطريقة غير مباشرة،فتطوف في محيط الشيء المكنّى عنه صفة كان،أو موصوفًا،أو نسبة،لتنتقي ما يرى دلالته مناسبة لمقتضى الحال،وذلك في نظمٍ لم يُسْمَع قبل القرآن ولم تَعْرِفه العرب.

وقد تحدّث أئمة البلاغة واللغة عن الفعل المطاوع ونظروا في دلالته وأوزانه المتباينة،وبالرغم من أنها كانت نظرات إشارية عارضة في شرح بيت أو تفسير آية،فإنها تدل على تذوقهم البلاغي لمواقع الكلام سواء على مستوى الإفراد أم التركيب؛من ذلك قول ابن عاشور في تفسير قول الله تعالى﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩ ﴾(سورة يس : الآية ٥٩): "وامْتازَ مُطاوِعُ

([1]) الكناية:هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له،ولكن يجيء إلى معنى هو مرادفه،فيومىء به إلى المعنى الأول،ويجعله دليلا عليه،أو هي اللفظ الدال على ما له صلة بمعناه الوضعي،لقرينة لا تمنع من إرادة الحقيقة؛كـ(فلان نقي الثوب)،أي(مبرأ من العيب)،وكـ(طويل النجاد)المراد به(طول القامة).والكناية تخالف المجاز من جهة إمكان إيراد المعنى الحقيقي مع إرادة لازمه،فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من إرادته،ومثل ذلك قولهم:(كثير الرماد)يعنون به أنه(كثير القِرَى والكرم).

([2])انظر السكاكي:أبويعقوب،مفتاح العلوم،مصدر سابق،ص٥١٢،٥١٣.وكذلك عبد المطلب: محمد،البلاغة العربية قراءة أخرى، دار نوبار للطباعة/القاهرة،ط٢ ،٢٠٠٧م،ص١٨٦،١٨٧.

مازَهَ،إذا أفْرَدَهُ عَمّا كانَ مُخْتَلِطًا مَعَهُ،وجِّهَ الأمْرُ إلَيْهِمْ بِأنْ يَمْتازُوا مُبالَغَةً في الإسْراعِ بِحُصُولِ المَيْزِ...فَيَكُونُ المَيْزُ بِصَوْغِ الأمْرِ مِن مادَّةِ المُطاوَعَةِ،فَإنَّ قَوْلَكَ:لِتَنْكَسِرَ الزُّجاجَةُ أشَدُّ في الإسْراعِ بِحُصُولِ الكَسْرِ فِيها مِن أنْ تَقُولَ:اكْسِرُوا الزُّجاجَةَ.والمُرادُ:امْتِيازُهم بِالِابْتِعادِ عَنِ الجَنَّةِ،وذَلِكَ بِأنْ يَصِيرُوا إلى النّارِ فَيَؤُولُ إلى مَعْنى:ادْخُلُوا النّارَ"([1]).

والفعل(**وَٱمْتَٰزُواْ**) كنايةُ تَعْرِيضٍ بأهْلِ الكُفرِ والشّركِ الذينَ أنْكَرُوا وُقُوعَ يَومِ الحَشْرِ والحِسَابِ،وفِيه أَيضًا كِنَايَةُ إيمَاءٍ إلى عِلَّةِ عَزلِهم عَن المُؤمِنِينَ،وهِي أَنّهم مُجرِمُونَ.وَسِيَاقُ الآيةِ هُو سِياقُ تَنكِيلٍ،وتَرذِيلٍ لِهؤُلاءِ المُجرِمِينَ، وهو يَعقبُ سِياقَ التَّنْعِيمِ والتَّكرِيمِ لأَهلِ الطَّاعَةِ والإيمَانِ،ومَا آلُوا إليه مِن النَّعِيمِ،ومِن ثَمَّ كَانَ الأمرُ للمُجْرِمِينَ بأنْ يَتفَرَّقُوا عَنهُم وَيَنعَزِلُوا عَن كُلِّ خَيرٍ تَوبِيخًا وتَحقِيرًا لَهم .

وكذلك تعليق الأصمعي على قول العجاج:(قَد **جَبَرَ** الدِّينَ الإِلَهُ **فَجَبَرْ**):"جَبرَ اللهُ الدِّينَ فهو يَجْبُرُه،وجَبرَ الدِّينُ أيضًا،إذا فَعَلَ الدِّينُ ذلك فانْجَبَر...قوله: فجبَر يريدُ انْجبَر"([2])،إلى غير ذلك من الشواهد والتعليقات التي تعكس مدى اهتمام هؤلاء الأئمة بجماليات النص وأدواته .

لا تختلف فاعلية الصيغة الكنائية المطاوعية بشكل خاص عن فاعلية الكنائية بشكل عام،إذ تتركّز فاعلية كلّ منهما على إنتاجها؛حيث يسير الإنتاج الكنائي لهما في ثلاثة خطوط رئيسة،تعتمد الحركة الذهنية عند المتلقي في استخلاص المعنى؛وهي كالتالي:

الخط الأول:

يعمل على إنتاج الصفة المعنوية؛كالجود،والشجاعة،والجمال،وغير ذلك،وهي نوعان:

كناية قريبة(بسيطة):

وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه،والمعنى المنتقل إليه،نحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر: [من بحر المتقارب]

([1]).ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التنوسية / تونس،١٩٨٤ ،ج ٢٤ ، ص٤٥.

([2])العجاج:عبدالله بن رؤبة،ديوان العجاج(رواية الأصمعي وشرحه)،تحقيق عِزة حسن،دار الشرق العربي/بيروت لبنان،ط١٩٩٥م،ص ٦٣ ،٦٤.

طَوِيْلُ النِّجَادِ رَفِيْعُ العِمَـادِ سَـادَ عَشِـيرَتَهُ أَمْـرَدَا([1])

نلاحظ أن (طويل النجاد)،و(رفيع العماد)،و(كثير الرماد)كلّ منها كناية عن صفة،فطويل النجاد تعني الشجاع، ورفيع العماد تعني رفيع المنزلة،وكثير الرماد تعني الجواد الكريم.

وكذلك بالنسبة للكناية المطاوعة في إنتاج الصفة البسيطة،ومنها قول الله تعالى:﴿**وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا**﴾(سورة الأعراف: الآية ١٤٦).

ففي الآية الكريمة:الفعل(يَتَّخِذُ)مضارعُ(اتَّخَذَ) افْتَعَلَ مُطاوِعُ(أَخَّذَ) أَفْعَل،"إذا جَعَلَهُ آخِذًا،ثُمَّ أُطْلِقَ عَلى أَخْذِ الشَّيْءِ ولَوْ لَمْ يُعْطِهِ إيّاهُ غَيْرُهُ"([2]).

وسِيَاقُ هَذِه الآيةِ مَسبُوقٌ بسِيَاقٍ يُصَوِّرُ مَشهدَ تَكلِيمِ مُوسَى عَليهِ السَّلامُ،ومَنَاطَ رِسَالَتِه التِي جَاءَ بِهَا،وقَد وَعَدَ اللهُ مُوسَى وقَومَه أَنْ يُمَكِّنَ لَهُم فِي الأَرْضِ،ويُورِثَهم دَارَ الفَاسِقِين.ويَأتِي هَذا السِّياقُ مُبَيّنًا عَاقِبةَ المُتَكَبِّرِين فِي الأَرْضِ بِغَيرِ الحَقِّ،ومُشِيرًا إلى أَنمَاطِهِم وطَبَاعِهِم؛ومِنهَا أَنَّهُم لَم يُروِّضُوا أَنفُسَهم بِأَوَامِرِ اللهِ أَو بِنَصَائِحِ العُقلاءِ والحُكَماءِ لِمَا فِيهَا مِن تَكلِفةٍ يَأبَونَها ويَرونَ فِيهَا مَشقَّةً،بِخِلَافِ البَاطِلِ الذِي لَا يَكَادُونَ يَعدِلُونَ عَنه، ويَختَارُونَه طَرِيقًا ومَنهَاجًا لَهُم.وقَد وُظِّف الفِعلُ(يتَّخِذُوه) فِي السِّياقِ كِنَايَةً عَن غَفْلَةِ هَؤُلَاءِ ومُلَازَمَتِهِم الغَيِّ والهَوَى، وكَأَنَّ ذلكَ جِبلّةٌ وطَبعٌ فِيهِم؛ومِن ثَمَّ يَتَجَنَّبُونَ طَرِيقَ الرُّشدِ،وتَنْشَرِحُ صُدُورُهم لِطَرِيقِ الضَّلالِ.

وكذلك قوله تعالى:﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ١٩ ﴾ (سورة الانشقاق : الآية ١٦ :١٩). ففي الآيات الكريمات:الفعل(اتَّسَقَ)افْتَعَلَ مطاوعُ(وَسَقَ) فَعَلَ؛أي:"وسقه فاتسق واستوسق،ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين:اتسع واستوسع"([3]).

([1]) ديوان الخنساء : تماضر بنت عمرو ،شرح حمدُو طمّاس،دار المعرفة _ بيروت _لبنان، ط٢ ، ٢٠٠٤م ،ص٣١.

([2])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج ٩ ، ص ١٠٥ .

([3])الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مصدر سابق ،ج ٤ ، ص ٧٢٧ .

والسّياقُ القرآنيُّ للآيةِ جَعلَ اتِّساقَ القَمَرِ ومَا سَاقَ مِن نورٍ وضياءٍ في مقابلِ الليلِ ومَا سَاقَ مِن عَتْمَةٍ وَظُلْمَةٍ،والرّبطُ بينهُما جَاءَ في سِياقِ قسمِ الله بالشَّفَقِ، واللَّيْلِ، والقَمَرِ، وهي أمورٌ كونيّةٌ تختلفُ أحوالُها مَا بينَ بدايةِ الظّلامِ بغُرُوبِ الشَّمْسِ،ثُمَّ العَتْمَةِ وإقْبالِ اللَّيلِ،ثُمَّ نُورِ القَمرِ واكتِمَالِه بَدرًا،وذَلكَ يُناسِبُ قَولَه:﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾،فالنّاسُ فِي أَحوَالِهِم المُقَدَّرَةِ لَهُم يَتَفَاوَتُونَ بينَ الخَيرِ والشَّرِّ،والنَّعْمَاءِ والضَّرَّاءِ.وقَولُه:(اتَّسَقَ) كنايةٌ عن تَمَامِ القمَرِ بدْرًا،وفيه إيماءٌ إلى رَحْمَةِ الله بمخلُوقاتِه؛إذْ إنَّ القمرَ بنورِه الهادِئِ مصدرٌ للأُنسِ في عَتمةِ اللّيلِ المُزعِجَةِ، وهُو مَا يُنَاسِبُ انْتِظَارَ النَّاسِ فِي أَحوَالِهِم المُتخَبِّطَةِ إلى كُلِّ مَا يُرْضِيهِمْ ويُؤْنِسُهُمْ .

كناية بعيدة(مركبة):

وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة أو بوسائط،نحو قول ابن هرمة:[من بحر الوافر]

وما يَكُ فيِّ مِن عَيْبٍ فإنّي جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

فالكناية قد حصلت بعد انتقال الذهن من عدة معانٍ أفضت بعضها إلى بعض،فمن جُبْنِ الكلب عن الهرير في وجه من يقرب ويدنو من الدار،مع أن الهرير في وجه الغريب أمر طبيعي،ثم إلى استمرار تأديبه؛ليتعود كثرة القادمين،ثم من ذلك إلى استمرار موجب نباحه باتصال مشاهدته الوجوه، ومن ذلك إلى كون الموصوف مقصد الداني والقاصي،ومنه إلى اشتهاره بحسن قري الأضياف.وكذلك ينتقل من هُزال الفصيل إلى فقد الأم،ومنه إلى قوة الداعي إلى نَحْرِها،لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما المتلِيات،ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ،ومنها إلى أنه مضياف([1]).

ومن يدقق النظر يلاحظ في هذه التحولات أنها تأخذ طبيعة تداخلية في شكل دوائر للمعنى، فالتحول يبدأ من الحقيقة المباشرة،ثم يضيق تدريجيًّا للوصول إلى الدائرة الأخيرة،

([1])انظر الجرجاني:عبد القاهر،دلائل الإعجاز،مصدر سابق،ص٣٠٧،٣٠٨.انظر السكاكي:أبو يعقوب،مفتاح العلوم،مصدر سابق، ص٥١٥.وكذلك القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة،مصدر سابق،ص٣٣٣.

وهي(الكرم)،"ودون اعتبار هذه العملية،يكون الوصول إلى الناتج الكنائي نوعًا من التخمين غير اللازم"([1]).

وكذلك بالنسبة للكناية المطاوعة في إنتاج الصفة المركبة،ومنها قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة الحج : الآية ١١). ففي الآية الكريمة:الفعلُ(انْقَلبَ)انْفَعَل مُطاوِع(قَلَبَ) فَعَل،"إذا كَبَّهُ،أيْ:ألْقاهُ عَلى عَكْسِ ما كانَ عَلَيْهِ بِأنْ جَعَلَ ما كانَ أعْلاهُ أسْفَلَهُ"([2]).

وسِيَاقُ هَذِه الآيةِ يَتحَدَّثُ عَن أُنمُوذجٍ مِن النَّاسِ يَبنِي عَقِيدَتَه فِي رَبِّه عَلى الرِّبحِ والخَسَارَةِ،ولِهَذا تَتَجَاذَبُه الأَحدَاثُ، ويَستَبِدُّ بِه القَلَقُ،وتَهوِي بِه هَواجِسُ نَفسِه إلى الانْحِرافِ،فَيَجعَلُ مِن إيمَانِه صَفقَةً تِجَارِيَّة؛فإذا جَلبَ لَه نَفعًا مُعَجَّلا اطْمَأنَّ بِه،وَإلا انْخَلَع عَنه وَانْقَلَبَ،وسَخِطَ عَلَيه؛مُتوهِّمًا أنّ آلِهَتَه قَد غَضِبَت عَلَيه لِمُفَارَقَتِه عِبادتِها.والسِّيَاقُ القُرآنِيُّ يُصَوِّرُ حَقِيقَةَ إيمَانِه بِربّه صُورةً حِسِّيَّةً،فَهُو فِي عِبَادَتِه(عَلَى حَرفٍ)؛ومِن ثَمّ فَهو مُتَلَجْلِجٌ مُتَأَرْجِحٌ عَلَى وَشكِ الانْكِفَاءِ عَلَى وَجْهِهِ إذَا مَسَّتْه الفِتَنُ،وحِينَ يَنقَلبُ عَلَى وَجْهِه يَخسَرُ خُسْرَانًا لَا رَيبَ فِيه فِي الدُّنيَا والآخِرةِ.والفعلُ **ٱنقَلَبَ** هُنا كِنايَةٌ عَن الارْتِدَادِ عَنِ الدِّينِ والتَّخَلِّي عَنْه،وقَد حَصَلتْ الكِنَايةُ عبرَ مَجمُوعَةِ وَسَائِط هِي؛الانْتِقَالُ مِن فِتْنَتِه فِي دِينِه بِبَلاءٍ لَم يَصبِر عَلَيه إلَى اضْطِرَابِ حَالِه حِينَ يَخْسَرُ الطُّمَأنِينَةَ والرِّضَى،وَمِنه إلَى الانْهِزَامِ النَّفسِيِّ،والانْكِفَاءِ عَن العَقِيدَةِ،والانتِكَاسَةِ عَن الهُدَى،وَمِنه إلَى المَطْلُوبِ وَهُو التَّخَلِّي عَن الدِّينِ وَالارْتِدَادِ.

ومنها ـــــ أيضًا ـــــ قوله تعالى:﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة الشمس: الآية ٩ ، ١٠). ففي الآيتين الكريمتين:الفعل(زَكَّى) فَعَّلَ يطاوعه(تَزكَّى) تَفَعَّلَ."والتَّزْكِيَةُ:الزِّيادَةُ مِنَ الخَيْرِ"([3]).

([1])عبد المطلب:محمد،البلاغة العربية قراءة أخرى،مرجع سابق،ص١٩١.
([2])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج ١٧ ،ص ٢١٣ .
([3])الآلوسي:روح المعاني ،مصدر سابق، ج ١٥،ص٣٦١ ، ٣٦٢ .

للسِّياقِ القُرآنِيِّ إيحَاءَاتٌ مُضمَرَةٌ يَسْتَدْعِيهَا اسْتِدعَاءً لَطِيفًا؛لِتَلمِسَ قَلبَ الإِنْسَانِ لَمسَةَ تَدَبُّرٍ وتَفَكُّرٍ،فَقد يَنسَى الإنسانُ آلاءَ الله عليه لطُولِ عَهدِه بها،فيَأتِي التعبيرُ القرآنِيُّ يَلفتُ نظَرَه إليها ليَعتَبِرَ بها؛مِن ذلكَ أنَّ اللهَ نَفخَ فِيه مِن رُوحِه،فَجعَلَه مُكرَّمًا على سَائرِ خلقِه،ومنحَه نفسًا تُميّزُ بين الحسنِ والقبيحِ،ومكَّنَه من اختِيارِ ما شَاء منهما.وفي سياق هذه الآية وظِّفت الكنايةُ في الفعلِ زَكَّيهَا للإشارةِ إلى كونِ الإنسانِ حرَّ الاختيارِ ولَيس مُجبرًا، وقد حَصَلَتْ الكِنَايَةُ مِن الانْتِقَالِ بَينَ عِدّةِ مَعَانٍ؛حَيثُ الانْتقالُ مِن تَزكِيَةِ النَّفسِ وتَرْوِيضِهَا،وتَطْهِيرِهَا مِن كُلِّ رِجسٍ ودَنَسٍ إلى الزِّيَادَةِ فِي أَعْمَالِ الخَيرِ،ومِنه إِلَى حُصُولِ التّقوَى لِلنفسِ،ومِنه إِلَى التَّمييزِ بَينَ البِرِّ والفُجُورِ بالقُوةِ الوَاعيةِ القَادِرَةِ عَلَى التَّوجِيهِ والاخْتِيارِ،ومِنه إِلَى كَونِ الإِنسَانِ مَخْلُوقًا مُزدَوجَ الطَّبِيعةِ بَينَ إِلهَامِ الفِطْرةِ وتَصرُّفِ القوةِ الوَاعيةِ؛فَمَنْ زكّى تلكَ القوةِ بالتَّقْوى فقَدْ أَفلحَ،ومَنْ أَضْعفها بالفُجُورِ فقد خَابَ،ومنه إلى المَطلوبِ وهو أنّ الإنسانَ حُرُّ الاخْتِيَارِ ولَيسَ مُجْبَرًا .

الخط الثاني:

يعمل على إنتاج الموصوف دون التصريح به،كقولهم:(المضياف)كناية عن زيد،ومنه قول البحتري يصف قتله الذئب:[من بحر الطويل]:

فأتْبَعْتُهَا أُخرَى، فأضْلَلْتُ نَصْلَها بحَيثُ يكونُ اللُّبُّ والرُّعبُ والحِقْدُ([1])

طعن البحتري الذئب طعنة وأتبعها بأخرى استقر نصلها في قلبه،حيث يكون اللب والرعب والحقد؛وهذه ثلاث كنايات عن الموصوف وهو القلب،لأن القلب موضع هذه الصفات وغيرها.

وكذلك الكناية المطاوعية في إنتاج الموصوف،ومنها قوله تعالى﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة النازعات:الآية ١٠). ففي الآية الكريمة:ٱلْحَافِرَةِ اسمُ فَاعِلٍ مِن حَفِرَ فَعِلَ مُطاوِع حُفِرَ فُعِل بِالبِناءِ لِلْمَجْهُولِ([2]).

([1])البحتري:ديوان البحتري،تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف – مصر،ط٣ ،ص٧٤٤.

([2])الآلوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،مصدر سابق،ج١٥ ،ص ٢٢٨ . وانظر البغوي:أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن ،تحقيق محمد عبد الله النمر،وعثمان جمعة،وسليمان مسلم الحرش،دار طيبة ، ط٤، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ،ج٨ ،ص ٣٢٧ . وكذلك ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٣٠ ،ص٦٩.

وسِياقُ الآيةِ لَه إيقَاعَاتٌ تَلمِسُ القَلبَ لَمسَاتٍ رَاجِفةً وَاجِفةً حَولَ مشهدٍ من مشاهدِ الآخرةِ،تماشيًا مع سياقِ السورةِ العامِ،الذي يَتحدّثُ عن الطّامّةِ الكبرى وأَهْوالِها؛حيثُ يَمضِي التعبيرُ القرآنِيُّ للآيةِ مُشِيرًا إلى انْدهاشِ المكذِّبين بالبعثِ من مُشركِي مَكّةَ وانْبهارِهم إذا قِيلَ لَهم:إنّكم لمبْعُوثُونَ،فَيقُولُوا:أئنَّا لمَردُودُونَ أحْياءً في قُبُورِنا؟! أيْ:كيف نَرْجِعُ أحْياءً إذا بَلِيَت عِظامُنا؟!والاستفهامِ التَّعَجُّبِيِّ،لقَصدِ التَّهَكُّمِ والتَّكذِيبِ بأنْ تَكُونَ هناك حَيَاةٌ أُخْرى، فهم يُنكرونَ البعثَ والحشر.والحافرةُ هنا كناية عن القبورِ المَحفُورَةِ،وقد عَدلَتْ الآيةُ عن التّعبيرِ الحَقِيقِيِّ الصَّرِيحِ إلى مِا هُو أَبلغُ وأَشَدُّ تأثيرًا في النَّفسِ،وذلك بالكِنَايةِ عَن القُبورِ ببعضِ صِفَاتِها،فهي الأَرْضُ المُنْتِنَةُ المُتَغَيِّرَةُ بِأجْسَادِ مَوْتاها.

ومنها أيضًا قوله سبحانه:﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(سورة البقرة :الآية ٧٤). ففي الآية الكريمة:الفعل(يَتَفَجَّرُ)مضارعُ(تَفَجَّر) تَفَعّلَ مُطَاوِعُ(فَجَّرَ) فَعّلَ،"وَقَرَأَ مَالِكُ بْنُ دِينَار: يَنْفَجِرُ بِالْيَاءِ،مُضَارِعُ انْفَجَرَ،وَكِلَاهُمَا مُطَاوِعٌ وَأَمَّا يَنْفَجِرُ فَمُطَاوِعُ فَجَرَ مُخَفَّفًا"([1]).

ويأتي هذا السِّياق نهايةً لجولةٍ منْ جَولاتِ التّعبيرِ القرآنيِّ حَولَ بني إسرائيلَ فِي تَاريخِهم الحَافلِ بالتَّعنُّتِ، والتَّكذِيبِ،والجُحُودِ،والفُسُوقِ،والتَّمرُّدِ؛إذْ لَم تَنفعْ معَها الأَحدَاثُ والآيَاتُ العِظامُ؛كَرُؤيتِهم إحياءِ القَتيلِ،ورفعِ الصَّخرِ فوقَ رُؤوسِهم،والحَجَرِ تتفجَّرُ منه اثنَتَا عشرةَ عَينًا؛الأمر الذي يُوحِي بِجفَافِ قُلُوبِهم وَجَدبِها،فمِثلِ هذه الآياتِ مِن شَأنِها أنْ تَلينَ مَعها القلوبُ وتَنبضَ بِخَشيةِ الله،ولكنْ لا جَدْوَى مَع جِبلَّةٍ جَاسِيةٍ مُجْدبةٍ لا حَياةَ فيهَا.ولمَّا شَبَّهَ الله تَعالى قُلُوبَهم بِالحِجارَةِ ذَكَرَ أنَّ منها ما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ،كنايةً عن قلوبِ المُخلِصِينَ المُنقَادِينَ لأوامرِ الله،فَهِي مُتدفِّقةٌ بالخيرِ،وتعريضًا بقلوبِ القساةِ التي لا تلينُ مع المواعظِ ولا تَتَأَثَّرُ لِلزَّواجِرِ فهي جاسِيَةٌ صُلْبَةٌ لا خيرَ فِيهَا ولا نفعَ مِنْهَا.

([1])أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط،مصدر سابق ، ج ١ ،ص ٤٢٧.

الخط الثالث:

يعمل على إنتاج كناية يراد بها نسبة أمر لآخر،نحو قول زياد الأعجم:[من بحر الكامل]

إنّ السّماحَةَ وَالمُروءَةَ وَالنّدى في قُبّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ

فإنّ جَعْلَ هذه الأشياء الثلاثة في مكانها لمختص به(قبة مضروبة عليه) يستلزم إثباتها له.ومن ذلك قولهم:(المجد بين ثوبيه) و(الكرم بين برديه)([1]).

وكذلك الكناية المطاوعية في إنتاج كناية يراد بها نسبة أمر لآخر،ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ ﴾ (سورة الحاقة: الآية ٩). ففي الآية الكريمة:(المُؤْتَفِكاتُ)جَمْعُ مُؤْتَفِكَةٌ اسْمُ فاعِلٍ من(ائْتَفَكَ)افْتَعَلَ مُطاوِعٌ(أفَكَ)فَعَل،"فَهي المُنْقَلِباتُ،أيْ قَلَبَها قالَبٌ أيْ خَسَفَ بِها"([2]).

وسياق هذه الآية يأتي ضمن سياق التذكير بمصارع الكافرين بالله المكذبين بيوم الحساب؛فقد أهلكت عاد بالعاتية، وثمود بالطاغية،وقوم فرعون،وقوم لوط أهلكوا بالرابية،وهو سِياقٌ مجملٌ دون تفصيلٍ يُوحِي بالحَسْمِ والجَزمِ فِي مُعَاقبةِ هؤلاءِالمُكذِّبينَ؛ذلكَ أنَّ الإيمانَ باللّهِ واليومِ الآخِرِ أَمرٌ جَدٌّ لا هَزلَ فِيه،فَلا مَنجَاةَ لِمنْ يُكذِّب بِه؛ومن ثمّ كنّى عن قُرى قَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ بالمُؤتَفِكاتِ،وتَمَّتْ الكنايةُ بأن نُسِبَ إليهم الخَسْفُ وإهلاكُ الاستئصالِ الذي حلّ بهم.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ۝٥٠ ﴾ (سورة سبأ:الآية ٥٠). ففي الآية الكريمة: الفعْلُ(اهْتَدَى)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(هَدَى)فَعَلَ."واهْتَدَيْتُ فِيهِ مِنَ الإيماءِ إلى أنَّ لَهُ هادِيًا،وبَيَّنَهُ بِقَوْلِه:﴿فَبِما يُوحي إلَيَّ رَبِّي﴾؛لِيَحْصُلَ شُكْرُهُ لِلَّهِ إجْمالًا ثُمَّ تَفْصِيلًا"([3]).

([1])انظر القزويني:الخطيب،الإيضاح في علوم البلاغة،مصدر سابق،ص٣٣٦.
([2])ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج ٢٩ ،ص ١٢١.
([3])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق ،ج ٢٢، ص ٢٤٠ ،٢٤١.

يَطرَحُ هذا السِّيَاقُ قضيةً طَالمَا عَالجَها الخِطابُ القُرآنِيُّ في سُورٍ طُوالٍ،وهي قَضيةُ الإيمانِ بالوحْيِّ والرِّسَالةِ،وموقفِ المُكذِّبينَ من كلِّ دَعوةٍ تُخالفُ مَا هُم عليهِ مِن الضَّلالِ،ويَدعُوهُم إلى الرُّجوعِ عَن تَكذِيبِ الرَّسُولِ بِلا دليلٍ؛ومِن ثَمَّ يَدعُوهمْ إلى التَّفكيرِ الهَادِئ فِي بَواعثِه التِي تَقِفُ وراءَ إيقاظِهم مِن الغَفلةِ،فَهو يَدعُوهم إلى الهُدَى ولَمْ يَطلبْ عَليه أَجرًا،بل إنَّ الله هو الذِي يَقذِفُ بالحقِّ،والحَقُّ مِنهاجٌ مستقِيمٌ لا يَثبتُ أمَامَه البَاطِلُ،وإنَّمَا يُصبحُ لجاجةً ومماحَكَةً مَصيرُها إلى الزَّوالِ،ولِهذَا فإنْ حَصَلَ ضَلالٌ فَمِنْ نَفْسِه،ولا تقعُ عليهِم تَبعتُه؛فَهُمْ يَتَّبِعُونه فِيما تَعَلَّقَ بِهِ،وإنْ نَالَه خَيرٌ فبِإرْشادِ اللَّهِ لا مِن نَفْسِهِ.وقد وظّفت الكنايةُ في قوله:ٱهتَدَيتُ ـــــ بوصفه بؤرة الكناية ـــــ إيماءً بأنَّه أسير فضل الله ومشيئته،وتمَّت الكنايةُ بنسبةِ الهِدايةِ إلى اللهِ سبحانَه،وأنَّها نَفعٌ ساقَه الله إليهِ بِوَحيه.

وبالنَّظرِ فِي كَيفِيّةِ إدرَاكِ المُتلَقِي للمَعنَى الكِنائِي،فَإنَّ هَذا المَعنَى يَتفَاوتُ ظُهُورًا وخَفَاءً فِي مُستَوياتٍ أَربعةٍ؛هِي التّعرِيض،والتَّلوِيح،والرَّمز،والإيمَاء والإشَارة.

كناية التعريض:

أن يساقَ الكلامُ ليَدُلَّ على شيءٍ غير مذكور،ويُعْرَفُ من قرائن الحال،وهو"يعتمد على الحركة الذهنية عند المتلقي،وقدرتها على تجاوز المستوى السطحي المباشر،ثم استنطاقه بدلالة بديلة لم تكن من مهمة الصياغة إنتاجُها أصلا،وإنما أنتجها المتلقي بالتعامل مع فضاء الصياغة وما يحتويه من إشارات دلالية...أي أن استعمال المستوى التعريضي هو الصياغة الحقيقية،ثم يكون تجاوزها مردودًا إلى السياق"([1])،نحو قول المتنبي:

إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خَلاصًا من الأذَى فَلا الحَمدُ مكسوبًا وَلا المالُ باقِيَا([2])

[من بحر الطويل]

([1])عبد المطلب:محمد،البلاغة العربية قراءة أخرى،مرجع سابق ،ص١٩٤،١٩٣.

([2])المتنبي:أبو الطيب أحمد بن الحسين،ديوان المتنبي،تحقيق درويش الجويدي،المكتبة العصريّة/ بيروت، ط ٢٠١٤م ،ج٢ ، ص١٨٠.

تعريضًا بنفي الكرم عن من يتبعون عطاياهم بالأذى والمنّ؛ذلك أنه إذا لم يتخلص الجود من المنّ به لم يبق المال،ولم يحصل الحمد،فالمال يذهبه الجود،والأذى يبطل الحمد،والمانّ بما يعطي غير محمود ولا مأجور.

ومثلها في الفعل المطاوع في السّياق القرآني قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾(سورة سبأ : الآية ١٤) .

ففي الآية الكريمة:فكلمة(الْأَرْضِ)هُنَا من الفعل(أَرِضَ)فَعِلَ مطاوعُ (أَرَضَ) فَعَلَ،يقال:أَكَلَتْ الْخَشَبَ الْأَرَضَةُ تَأْرُضُه أَرَضًا فَأَرِضَ نَحْوُ :جَدَعْتُ أَنْفَهُ فَجَدِعَ.وقيل:(الْأَرْضِ)من الفعل(أَرَضَ) فَعَلَ مطاوعُ (أَرَضَ) فَعَلَ،يقال:أَكَلَتِ الْأَسْنَانُ أَكَلًا،مُطَاوِعُ أَكَلْتُ نَحْو:جَدَعَ أَنْفُهُ جَدَعًا.و"الأَرَضَةُ بِفَتَحاتٍ وهي دُوَيْبَةٌ تَأْكُلُ الخَشَبَ ونَحْوَهُ...فالأَرْضُ بِالسُّكُونِ الأَكْلُ والأَرَضُ بِالفَتْحِ التَّأَثُّرُ مِن ذَلِكَ الفِعْلِ"([1]).

يَسْرُدُ سِياقُ الآيةِ المَشهدَ الأخيرَ منْ حَياةِ سليمانَ عليه السَّلامُ،وهو مشهدُ وفاتِه والجنُّ ماضيةٌ فِي عملِها الذي كلَّفها به،ولا تعلمُ بموتِه حتى أَكَلَتْ الأرضةُ متَّكأه الذي يرتكزُ عَليه،فَسقطَ عَلى الأَرضِ،حِينهَا علِمَت الجِنُّ موتَه،وأنَّهم مَحجُوبُونَ عن الغَيبِ.والسِّياقُ هنا سِياقُ تَهَكُّمٍ وسُخريةٍ مِن ادّعَاءِ الجنِّ أنّهم يَعلَمُونَ الغَيبَ،وفِي **الْأَرْضِ** كِنايةُ تَعريضٍ بالجنّ يُبطِلُ اعْتِقادَ المُشْرِكينَ فِيهم؛ذلكَ أنّهم كانُوا يَستَنبئون الكُهّانَ عن الغيبِ،ويَزْعُمُونَ أنَّ لِكُلِّ كاهِنٍ جِنِّيًّا يَأْتِيهِ بِأخْبارِه،فَإنَّهم لَوْ عَلِمُوا الغَيْبَ لَكان عِلْمُهم بموتِ سليمانَ،ومَا ذاقُوا المَشَقَّةَ والنَّصَبَ حَولًا كامِلًا فِي العَمَلِ الَّذِي أمَرَهم بِهِ،والطّاعَةِ لَه وهو إذْ ذاكَ مَيتٌ.

ومنها قوله تعالى:﴿**فَأَعرِضْ عَنهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ**﴾(سورة السجدة :الآية ٣٠). ففي الآية الكريمة: الفعل(انْتَظَرَ)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(أَنْظَرَ)أَفْعَلَ."والانْتِظارُ:التَّرَقُّبُ.وأَصْلُهُ مُشْتَقٌّ مِنَ النَّظَرِ...أيِ انْتَظِرْ أيّامًا يَكُونُ لَكَ فِيها النَّصْرُ،ويَكُونُ لَهم فِيها الخُسْران"([2]).

([1])أبو حيان الأندلسي:البحر المحيط،مصدر سابق ، ج٨ ،ص٥٣٠.وانظر كذلك الآلوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مصدر سابق، ج١١ ، ص ٢٩٥ .

([2])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج ٢١ ،ص٢٤٣ ،٢٤٤.

يُمثلُ سِياقُ الآيةِ ختامًا لأَحدِ إيقاعاتٍ ثلاثةٍ تَمَسُّ القلبَ وتُنيرُ الرُّوحَ،وتُشَكِّلُ سِيَاقًا عامًّا للسّورةِ يُعالجُ قَضيّةَ العَقِيدةِ والتَّوحيدِ؛وأولُ تلكَ الإيقَاعَاتِ مَسأَلةُ الوحْي وتَبليغِ الرِّسَالةِ،وثَانيهَا مسألةُ الأُلوهِيّةِ،وثالثُها مسألةُ البعثِ والحِسابِ،وكلُّ هذه الإيقاعاتِ تُخاطبُ القلبَ تارةً بالتَّخويفِ والتَّحذيرِ،وأخرَى بالأدِلَّةِ والبَراهِين،وثالثةً بالإقنَاعِ والإطْمَاع،ثمّ تَتركُ الأَمرَ له ليَختارَ بنفسِه المَصيرَ الذي يُريدُ؛ومن ثمَّ كانَ التَّعقيبُ بسِيَاقِ هذِه الآيةِ،والفعل **ٱنتَظِرۡ** كناية تَعْرِيض بالبِشارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ،وتَعْرِيض بالوَعِيدِ لِلْمُشْرِكِينَ.

وكذلك قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ (سورة البقرة :الآية ٢٧٥). ففي الآية الكريمة:الفعل(يتَخَبَّطُهُ)مضارعُ(تَخَبَّطَ) تَفَعَّلَ مُطاوِعُ(خَبَطَ) فعَلَ،"فَتَخَبُّطُ الشَّيْطانِ المَرْءَ جَعْلُهُ إيّاهُ مُتَخَبِّطًا،أيْ:مُتَحَرِّكًا عَلى غَيْرِ اتِّساقٍ.والَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ هو المَجْنُونُ الَّذِي أصابَهُ الصَّرْعُ،فَيَضْطَرِبُ بِهِ اضْطِراباتٍ،ويَسْقُطُ عَلى الأرْضِ إذا أرادَ القِيامَ"([1]).

وسِياقُ الآيةِ يُمثّلُ حَمْلةَ تَهديدٍ مُفزِعةٍ لإبطَالِ التَّعامُلِ بالنِّظَامِ الرِّبَويِّ الذِي كَانَ سَائدًا فِي الجَاهِلِيَّةِ،ويَستدعِي صُورةَ المَصرُوعِ الذي مَسّه الشَّيطانُ،فهُو يُصرَعُ وتَتَكشَّفُ سَوأَتُه،ولا يملِكُ مِن أَمرِه شَيئًا،وفِي هَذا الاسْتدعَاءِ اسْتِفزَازٌ لمَشَاعِرِ المُرابِينَ؛لِحَسّهم عَلى تَركِ مَا أَلفُوه فِي مُعامَلاتِهم التِّجاريَّةِ.وقد كُنّيَ بالفِعل(يتَخَبَّطُه)كنايةَ تعريضٍ بتوعُّد أهلِ الرِّبا بسُوءِ الحالِ،ولُقِيِّ المَتاعِبِ،ومَرارَةِ الحَياةِ،فلا استقرارَ،ولا طُمأنِينةَ،ولا راحَةَ .

كناية التلويح:

كناية كثرت فيها الوسائط بيْنَ المكنَّى به والمكنَّى عنه،فهو يتحدد بالنظر في التحولات الداخلية في متن البنية نفسها؛ذلك أن كثرة التحولات أو الوسائط تجعل الإدراك بعيدًا،ومن التلويح الكناية عن كون الرجل جوادًا مضيافًا بأنّه كثير الرّماد،فإن بينهما مجموعة وسائط أو تحولات هي:كثرة الإحراق،وكثرة الطبائخ،وكثرة الأكلة،ثم كثرة الأضياف،ثم الكرم.

([1])المصدر نفسه،ج٣ ، ص٨٢ .

ومثلُها في الفِعلِ المُطاوعِ في السِّياق القُرآنِي قولُه تعَالى﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾ (سورة التوبة: الآية ٥). ففي الآية الكريمة:الفعل(انْسلَخَ)انْفَعَل مُطاوِعُ(سَلَخَ)فَعَلَ."وانْسِلاخُ الأشْهُرِ انْقِضاؤُها وتَمامُها"([1]).

تَضمّنَ سِيَاقُ هَذه الآيَةِ قَرارًا حَاسِمًا يَعقِبُ سِياقَ بَراءَةِ الله ورسُوله مِن المُشركِين المُعَاهِدِين للمُسلِمِين وغيرِ المُعَاهِدِين،وذلكَ القَرارُ هُو تَحْريضُ المُسلِمِين عَلى قِتَالِ المُشركِينَ ومُقَاطَعَتِهم بَعد انقِضَاءِ الأشْهُرِ الحُرُمِ،ولكنّه تَحريضُ هدايةٍ لا تحريضَ إبادةٍ؛فإنْ جَاءَ أحَدُهم تَائبًا إلى الله،مُختَارًا الإسلامَ دينًا،ملتزمًا بشَعَائِره،فَليس للمُسْلِمينَ عَليه سَبيلًا؛ذلك أنّ اللهَ لَا يَردُّ التَّائبِينَ.ولمّا كانَتْ تلكَ الأشهرُ بمثَابةِ مُهْلةٍ للمُشركِينَ؛ليَعِيدُوا حِسَابَاتِهم بَعدمَا أُنذِرُوا بالمُقاطَعةِ،والقَتلِ،وأنَّهم لَن يَستَطِيعُوا المُرورَ مِن أيِّ أَرضٍ تَقعُ تَحتَ حُكمِ المُسلِمينَ،فإنّ التّعبيرَ القرآنِيَّ قدْ لوّح إلى تِلكَ الحَالةِ بقوله:(**ٱنسَلَخَ**)،وكأنّها تُنزَعُ وتنسَلُّ من لُحُومِهم؛إذ إنّهم عَلمُوا مَا يَنتَظرُهم.وفي ذلك كناية عنْ أنّ الأشْهُر الحُرُم كَانتْ حِرزًا للمشركين عَنْ غِيلةِ أَيدِي المُسلمِين.

ونَحو ذلكَ قولُه تعَالى﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ ﴾ (سورة البقرة:الآية ١٩١ /١٩٢). ففي الآية الكريمة:الفعل(انْتَهَى)افْتَعَلَ مُطاوِعُ (نَهَى) فَعَلَ."يُقالُ:نَهاهُ فانْتَهى،ثُمَّ تُوُسِّعَ فِيهِ،فَأُطْلِقَ عَلى الكَفِّ عَنْ عَمَلٍ أوْ عَنْ عَزْمٍ"([2]).

وَسِيَاقُ هَذه الآيةِ يَمْضِي فِي سِياق بَيانِ المَنهجِ الرَّبَّانِيِّ لأحكَامِ القِتَالِ دِفَاعًا عَن حُريَّةِ الاعْتِقَادِ،وقَدْ أَوجَبَ اللهُ القِتَالَ عَلى المُسلِمينَ لِمَن قَاتَلُوهُم وفَتَنُوهُم فِي دِينِهم،وذلكَ عَلى أَيَّةِ

([1])ابن عاشور:الطاهر، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج١٠ ، ص١١٤ .
([2])المصدر نفسه،ج ٣٢ ،ص٢٠٦ ،٢٠٧.

حَالٍ وبِأَيَّةِ وسِيلةٍ،مَع مَراعَاةِ عدَمِ الاعْتِدَاءِ أو القِتَالِ عِند المَسجِدِ الحَرَامِ إلّا لِمَن لَا يَرعَى حُرمَتَه،فإنْ يَنْتَهُوا عَن مُعادَاتِ المُسْلِمينَ وَآمَنُوا باللّهِ،يُغْفَرْ لَهُم مَا قَدْ سَلَفَ.وقولُه تعَالى:(**فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ**)فيه كنايةُ تلويحٍ بالمَغْفرةِ والرحْمَةِ للمُشركِينَ والغَضِّ عمَّا مَضَى مِنهم،شَرِيطَةَ أنْ يَنْتَهُوا؛ذلك أنَّ الانتهاءَ عن الاعْتِدَاءِ يقتضِي الوَفاءَ بالعُهودِ،ومنه إلى الإذْعَانِ إلى الحَقِّ،ثم الدّخُولِ في الإسلامِ الذي يسْتوجِبُ المَغفِرةَ والرّحمةَ مِن اللهِ عزّ وجَلَّ.

كناية الرّمْز:

كناية قلّت فيها أو انعدمت الوسائط بين المكنّى به والمكنّى عنه،إلَّا أنَّ فيها نوعَ خفاء،مثل الكناية عن الغباء والبلادة بقولهم:(عريض القفا)أو(عريض الوساد).ويناسب أن تُسَمَّى رمْزًا؛لأنّ الرمز أن تشير إلى قريب منك على سبيل الْخُفْيَة.كما في قول ابن هانئ: [من بحر الكامل]

رَمَزَتْ إِلَيَّ مَخَافَةً مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبدِيَ هُنَاكَ كَلَامَهَا

ومثلُها في الفعلِ المُطاوعِ في السِّياق القُرآنِيّ قولُه سبحانَه:﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (سورة النحل:الآية ٤٨). ففي الآية الكريمة:الفعل(تَفَيَّأَ) تَفَعَّلَ مُطاوِعُ (فَيأَ) فَعَلَ."وتَفَيُّؤُ الظِّلالِ تَنَقُّلُها مِن جِهاتٍ بَعْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ،وبَعْدَ زَوالِها"([1]).

وهَذا سِيَاقٌ مُوَجَّهٌ للمُستَكبِرينَ عَن عِبادةِ الله،يُبرهِنُ اللهُ فِيهِ عَن طَواعِيةِ الكَونِ لأَمرِه وانقِيَادِه لحُكمِه،وقد وظَّفَ السِّياقُ الفِعلَ(يَتَفَيَّؤُاْ)؛ليُكَنِّيَ به كِنايةً رمزيَّةً عَن اسْتِحقَاقِ اللهِ السُّجُود إليه،فَإذَا كانَ مِنَ النّاسِ مَن أبَى السُّجُودَ له،فَقَدْ جَعَلَ الظِّلّ شَاهِدًا عَلى هذا الاسْتِحْقاق؛فمن دَقائِقِ صُنْعِه ما يَدلُّ بَعْضُه عَلى بَعْضٍ،يَنطِقُ لِسَانُ حَالِه أنّه عبدٌ للهِ؛مِن

([1])أبو السعود:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار إحياء التراث العربي – بيروت،ج ٥ ، ص ١١٨. وكذلك الآلوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،مصدر سابق ، ج : ٧ ، ص: ٣٩٢ .وكذلك انظر الرازي: فخر الدين،مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)،مصدر سابق،ج ٢٠ ،ص٢١٤. وكذلك ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،مصدر سابق،ج ٣ ،ص٣٩٧، ٣٩٨ .

ذلكَ الأجْسَامُ الأَرضِيَّةُ التِي تَنْعَكِسُ أَشِعَّةُ الشَّمسِ عَليهَا فَيسقُطُ ظِلُّهَا عَلَى الأَرضِ سُقُوطَ السَّاجِدِ،ينقادُ في تَقَلُّصِه،وفَيْئِه،وزَوالِه لمَشِيئَةِ اللهِ وحدَه.

كناية الإيماء أو الإشارة:

كناية ليس بين المكنَّى به والمكنَّى عنه وسائط كثيرة ولا خفاء،وذلك في نحو قول البحتري:[من بحر الكامل]

أَوَمَا رَأَيْتَ المَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

فإنه في إفادة أنّ آل طلحة أماجد،ظاهر(١).ومثلُها فِي السِّياق القُرآنِيّ قولُه تَعَالَى:﴿**إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾(سورة الحجرات:الآية ١٥) .ففي الآية الكريمة:الفعل(ارْتابَ)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(رَابَ)فَعَلَ."إذا أوْقَعَهُ في الشِّكِّ مَعَ التُّهْمَةِ"(٢).

وهذا سِيَاقٌ يُبيّنُ حَقِيقَةَ الإيمَانِ؛ذلكَ أنَّ قَلبَ المُؤمِنَ إذَا تَشَبَّعَ بِالإيمَانِ وَذَاقَ حَلاوَتَه،انْعَكَسَ ذلكَ علَى حَياتِه ومُعَامَلاتِه،فَلا تَعتَرِيه الظُّنُونُ،ولا تُزَلزِلُه المِحَنُ والمَخَاطِرُ،وإنَّمَا يَمضِي ثَابِتًا مُتَيَقِّنًا مَوصُولاً بربِّه عزّ وجلّ. وقَولُه:(لمْ يَرتَابُوا)فيه كِنايةُ إشَارةٍ إلى أنَّ انْتِفاءَ الرِّيبَة والظِنَّة في الإيمانِ أهَمُّ رُتْبَةً مِنَ الإيمانِ؛إذْ بانتفائِهما عِمادُ الإيمانِ ذاتِه.

ومنها قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢﴾ (سورة المجادلة :الآية ٢).ففي الآية الكريمة:الفعل (يظَـٰهِرُونَ) قُرِئَ(يَظّاهَرُونَ) من الفعل(تَظَاهَرَ) تَفَاعَل مُطاوِعُ(ظَاهَرَ) فاعَلَ."وقُرِئَ(يَظَّهَّرُونَ) من الفعل (تَظَهَّرَ) تَفَعّل مُطاوِعُ (ظَاهَرَ) فَاعَلَ"(٣).

(١)انظر السكاكي:أبو يعقوب،مفتاح العلوم، مصدر سابق،ص٥٢٢،٥٢١. وكذلك الهاشمي:السيد أحمد،جواهر البلاغة،مرجع سابق،ص٢٩٠.
(٢)أبو السعود:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،مصدر سابق،ج ٨ ،ص١٢٤ .
(٣) انظر الرازي: فخر الدين،مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)،مصدر سابق،ج ٢٩،ص ٤٨١ .

وَسِياقُ الآيةِ يَحكِي طَرفًا مِن المَنهَجِ التَّربَويِّ الإِسلَامِيِّ الذِي ارتَضَاه اللهُ لهَذِه الأُمَّةِ النَّاشِئةِ؛فَهو يَشمَلُهَا بِكَنَفِه ورِعَايَتِه فِي أَدَقِّ شُؤُونِهَا وتَفَاصِيلِ حَيَاتِهَا،بِمَا يَلِيقُ بانْتِسَابِهَا إِلِيه،ومَا يُحقِّقُ لَها الاسْتِقرَارَ والهَنَاءَةَ فِي حَياتِها؛مِن ذلكَ عِلاجُ قَضيَّةِ الظِّهَارِ،وبَيَانِ قَضَاءِ اللهِ فِيهَا،ففِي الآيةِ مَخْرَجٌ لتلكَ المَرأَةِ التِي حَاوَرَها النَّبيُّ ﷺ وَجَادَلَتْه فِي ضُرٍّ مَسّهَا بِظِهَارِ زَوجِها مِنهَا،فَقولُه:(يظَـٰهِرُونَ)فِيه كِنَايةُ إِيمَاءٍ إِلى صِيغَةِ الظِّهَارِ(أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي)،وإِيمَاءٍ إِلَى اعْتِلائِهَا،ولَفظُ الظَّهرِ لِتَغلِيظِ تَحرِيمِهَا.ثُمّ يَمْضِي السِّيَاقُ لِيُبَيِّنَ إِبطَالَ اللهِ لِتِلكَ القَضِيَّةِ التِي لا أَصلَ لَها؛إِذْ إِنَّ الزوْجَةَ لَيْسَت أُمًّا حَتّى تُحَرَّمَ كَالأُمِّ،ولَن تَصِيرَ أُمًّا بِكلمةٍ تُقَالُ،لأَنَّ الأُمَّ هِي التِي وَلَدَتْ؛ومِن ثَمَّ كانَ قَولُهم:(مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا)لا يَرضَاهُ اللهُ عزّ وجَلّ،وفيه كنايةٌ عن شَنَاعَةِ مَقُولَتِهم؛إِذْ تُعَرِّضُ الأُمَّ لِتَخْيِيلَاتٍ مُنكَرةٍ قَد تَخطُرُ بِبَالِ المُستَمِعِ حِين يَسمَعُ صِيغَةَ الظِّهارِ.

وكذلك قوله تعالى:﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة القصص:الآية ٢٠). ففي الآية الكريمة:الفعل(يَأْتَمِر)مضارعُ(ائْتَمَرَ)افْتَعَلَ مُطاوِع (أَمَرَ)فَعَل."ويَأْتَمِرُونَ بِك يَتَشاوَرُونَ ويَهُمُّونَ بِقَتْلِك"([1]).

يَقتَضِي سِيَاقُ الآيةِ سَردَ مَا قَبلَها مِن أحدَاثٍ عبَّرَ عَنهَا التَّعبِيرُ القُرآنِيُّ فِي أُسلُوبٍ قَصَصِيٍّ يَعرِضُ قِصَّةَ مُوسَى وفِرعَون؛لقَدْ ضَاقَ مُوسَى ذَرعًا بِطُغْيَانِ فِرعَونَ وَرِجَالِه علَى بَنِي إِسرَائِيلَ،ولمْ تَسْتَرِحْ نَفسُه لِظُلمِهِم وَامتَلَأَتْ غَيظًا وَكَرَاهِيَةً لَهُم،وقَد بَدَتْ هذِه الثَّورةُ الكَامِنةُ فِي نَفسِه حِينَمَا وَكَزَ القِبطِيَّ الذِي اقْتَتَلَ مَع الإِسرَائِيلِي،فَقَضَى عَلِيه دُونَ عَمدٍ أَو قَصدٍ،وَقَدْ أَخْبَرَ السِّيَاقُ القُرآنِيُّ أَنَّ مَقتَلَ القِبطِيِّ قدْ وَصَلَ إِلَى فِرعَونَ وَرِجَالِه،فَطَالَبُوا بِقَتلِ مُوسَى عَلِيه السَّلامُ،لكنّ قُدرةَ اللهِ هَيَّأَتْ لَه رَجُلًا يُحَذِّرُه مِن ائتِمَارِ المَلَأِ وَينْصَحُه بِالهُروبِ.وقدْ وَظَّفَ السِّيَاقُ الفعْلَ **يَأْتَمِرُونَ** لِيُكَنِّيَ بِه كِنَايَةَ إِيمَاءٍ إِلَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مُخْرَجٌ مِن مَكَّةَ،وأَنَّ اللَّه مُنْجِيه مِن القَومِ الكَافِرِينَ،مِثلَمَا حَدَثَ مَع مُوسَى عَلِيه

([1])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج ٢٠ ، ص٩٦ .

السَّلامُ،وفيه أيضًا كِنَايَةٌ إِشَارَةٍ إِلَى عِنَايَةِ اللَّهِ بِمَنْ اِصْطَفَاهُم وَعِصمَتِه لَهُم مِن المَكَائِدِ؛لِتَعْلَمَ الفِئَةُ المُؤمِنةُ أَنَّ الأَمَنَةَ فِي كَنَفِ اللهِ،وإِنْ تَأَخَّرَتْ ـــــ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِهِم ـــــ أَسبَابُ النَّصرِ التِي تُحَقِّقُ تِلكَ الأَمَنَةَ.

وكذلك قوله تعالى:﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ ﴾ (سورة البينة :الآية١). ففي الآية الكريمة: (مُنفَكِّينَ)اسم فاعل من الفعل(انْفكَّ)انْفَعَل مُطاوِعُ(فَكَّ) فَعَل."فالانْفِكاكُ:الإقْلاعُ...والتَّقْدِيرُ: مُنْفَكِّينَ عَنْ كُفْرِهِمْ وتارِكِينَ لَهُ"([1]).

وَهَذَا سِيَاقٌ تَقرِيرِيٌّ يَحكِي حَقِيقَةً تَارِيخِيَّةً،وهِي أنَّ الأرْضَ مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجُورًا،وتَسَلَّلَ الكُفرُ إِلى عَقائِدِ أهلِهَا من اليَهُودِ،والنَّصَارَى،والمُشرِكِين علَى السَّواء،ومَا كَانُوا ليَتْرُكُوه ويتحَوَّلُوا عَنْه إِلَّا بِمْنهَاجٍ جَدِيدٍ علَى يَدِّ رَسُولٍ يَحمِلُ بَيِّنَةً فَاصِلَةً مَائِزَةً بِينَ الحَقِّ والضَّلالِ.ونَفْيُ الانفِكَاكِ كِنايةُ إِشَارةٍ إِلى إِصرَارِهِم علَى الكُفرِ،وَعَدمِ تَنَصلِهِم عَنْه عِنَادًا؛ومِنْ ثَمَّ فَإِنَّ السِّيَاقَ مُوجّهٌ إِليهِم جَمِيعًا لِإِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيهِم جَمِيعًا ودَمْغِهِم بِهَا،فَقَدْ قَالَ المُشرِكُونَ:إِنَّ مُوسَى وعِيسَى قَدْ أُرسِلَا إِلَى قَومِهِمَا ونَحنُ لَا عِلمَ لَنَا بِكِتَابِهِم،و﴿ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾،وقَالَ أَهلُ الكِتَابِ لَن نَترُكَ مَا نَحنُ عَلَيهِ حَتَّى يَأْتِيَنَا﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾،فَكَانُوا بِهَذَا فِي انتِظَارِ مَجِيءِ نَبِيٍّ يَعرِفُونَ عَلَامَاتِه فِي كُتُبِهِم.وتِبَاعًا لِذَلكَ قَدَّمَ التَّعبِيرُ القُرآنِيُّ ذِكْرَ أَهْلِ الكِتَابِ فِي السِّيَاقِ عَلَى المُشرِكِينَ رُغم أَنّهم أَشدُّ مِنهُم كُفرًا؛وَذلكَ لأنَّ المُشرِكِينَ إِنَّمَا كَانُوا تَبَعًا لَهُم فِي التَّشكِيكِ فِي نُبُوءَةِ مُحمَّدٍ ﷺ .

وكذلك أيضًا قوله تعالى:﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ ﴾ (سورة عبس:الآية ٧) . ففي الآية الكريمة:الفعل (يزَّكَّى) أصلُهُ:(يَتَزَكّى) مضارع (تَزَكّى) تَفَعَّلَ مُطاوِعُ(زَكَّى) فعَّلَ؛"أيْ: يَحْصُلُ أَثَرُ التَّزْكِيَةِ في نَفْسِه"([2]).

يُقَرِّرُ سِيَاقُ هَذِه الآيةِ حَقِيقَةً مِن حَقَائِقِ هَذَا الدِّينِ،ويُعَالِجُ قَضيةً مِن قَضَايَا الدَّعوَةِ إِليه،فَهو سِيَاقُ عِتَابٍ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لنَبِيِّه وَمُصْطَفَاه،حَيثُ انْشَغَلَ بِمَن عِندَه مِن وُجَهَاءِ

([1])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٣٠ ، ص ٤٧٢ .
([2])المصدر نفسه،ج٣٠ ،ص١٠٦.

قُريشٍ،وَهَو يَدْعُوهُم إِلَى الإِيمَانِ،مُعْرِضًا عَن عَبد الله بن أُمِّ مَكتُومٍ الذِي جَاءَه رَاغِبًا فِي الدِّينِ؛ومِن ثَمّ تَعْلُو نَبرَةُ العِتَابِ كنايةَ إشارَةٍ إلى تَرْكِ الِاهْتِمامِ بِمَنْ أَعْرَضَ واستغْنَى،وعَدمِ الاكْتِرَاثِ بِه تَحقِيرًا لِشَأنِه؛ذلكَ أنّ الدَّعوةَ لَا تُنصَرُ به مَهمَا كَانَت مَكانَتُه وقُوَّتُه،بَل هِي طَاهِرةٌ عَزِيزةٌ فِي نَفْسِها لَا تُعرَضُ إلّا عَلى مَنْ يُرِيدُ التَّزكِيةَ بِهَا.

ومِمَّا يَزِيدُ مِن القِيمةِ البَلاغِيَّةِ للتّوظِيفِ الكِنَائِيِّ لِلفعلِ المُطاوِعِ فِي السِّيَاقِ القُرآنِيِّ؛شُمُولُها عَلى عُنصُرِ التّشبِيهِ،والاسْتِعَارَةِ،والتَّمثِيلِ،والمَجَازِ فِي إنتَاجِ المَعنَى؛ومِن ثَمَّ تَتَّسِعُ رُقْعَةُ الظِّلالِ التِي تَسبَحُ فيهَا المَعَانِي الكِنَائِيةُ التي يُرِيدُ تَصوِيرَهَا السِّيَاقُ القُرآنِيُّ أَو بَثِّهَا.

<u>أولاً:كناية على طريقة التشبيه</u>

تنشأ بلاغة الكناية على طريقة التشبيه من أن التشبيه ينتقل بالمتلقي من الشيء نفسه إلى شيء طريف يُشبهه،أو صورة بارعة تُمثله،وقد جُبلت النفس على الارتياح والشعور بالألفة حين تنكشف الأشياه والنظائر بين الأشياء المتباعدة؛من ذلك قول الله تعالى﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ (سورة البقرة:الآية ١٦٦). ففي الآية الكريمة:الفعل(تَقَطّعَ) تَفَعَّلَ مُطاوِعُ(قَطَّعَ)فعَّلَ."والتَّقَطُّعُ الِانْقِطاعُ الشَّدِيدُ"([1]). وفيه كنايةُ تعريضٍ بالمِلّةِ الزَّائغَةِ وَخَيبَةِ الأَمَلِ،وهي كناية على طريقة التشبيه المركب؛حيث شبَّهَ مَنْ يَتّبِع الملّةَ الزَّائغةَ بمَنْ يَرتقِي النّخلَةَ ليَجمَع ثمَرَها،وشَبّهَ عبادَةَ الأَصنَامِ التي يَعبدُها لتُقرّبَه إلى اللهِ زُلْفَى بالحَبلِ الموصلِ بتلكَ النّخلةِ،وشبّه جزَاءَ عبَادَتِه واتّبَاعِه بالثّمرةِ في أَعلَى النّخلَةِ،وشبّه العُمُرَ بالنّخْلَةِ ذاتِها،وشبّهَ الحِرمَانَ من الوصُولِ إلى ذلك الجزَاءِ والنّعيمِ بتقطّعِ الحَبلِ،وشَبّهَ الخَيبَةَ والوقُوعَ في العَذابِ بالبُعدِ عن ثِمارِ النّخلةِ والسُّقوطِ من أعلَاها.

ومنه أيضًا قوله تعالى﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ

([1])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٢، ص٩٧.

إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ (سورة البقرة:الآية ٢٦٦). ففي الآية الكريمة:الفعل(احْتَرَقَ)افْتَعَلَ مُطاوِع(أَحْرَقَ) أَفْعَلَ."كَأَنَّهُ قِيلَ:فِيهِ نار أحرقتها فاحترقت، كقولهم: أَنْصَفْتُهُ فَانْتَصَفَ،وَأَوْقَدْتُهُ فَاتَّقَدَ"(١).وفيه كنايةٌ عن نَفَقَة الرِّياءِ وانعدام رَجاءِ المَنفَعَةِ منها،وهي كناية على طريقة التشبيه المركب؛حيث شبّه الصَّدقةَ بجنّةٍ خَصْبةٍ مُثمرةٍ،وشبّه المنّ والأذى الذي يعقب النفقة بالإعْصارِ الَّذِي يَحْرِقُ تِلْكَ الجَنَّةَ،وشبّه خسرانَ الِانْتِفاع بِثَوابِ الصدقةِ بإحراق الجَنَّةَ حتى صارَتْ أعْوادُها يابِسَةً،وشبه غايَةِ الِاحْتِياجِ إلى ذلك الثواب إذا قُدِّمَ يَوْمَ القِيامَةِ بأشدّ ساعاتِ العجزِ والضعفِ عن إنقاذها من الحريق.

ومنه كذلك قوله سبحانه:﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ﴾ (سورة الواقعة: الآية٤-٧).ففي الآيات الكريمات:(المُنْبَثُّ)اسْمُ فاعِل(انْبَثَّ)انْفَعَل مُطاوِعُ (بَثَّ) فَعَلَ."إذا فَرَّقَهُ.واخْتِيرَ هَذا المُطاوِعُ لِمُناسَبَتِهِ مَعَ قَوْلِهِ:﴿وبُسَّتِ الجِبالُ﴾ في أنَّ المَبْنِيَّ لِلنّائِبِ مَعْناهُ كالمُطاوَعَةِ"(٢). وفيه كنايةٌ عَن أَثَرِ هَولِ يَومِ القِيَامَةِ فِي كيانِ الأَرضِ،وَهِي كِنايةٌ عَلى طَرِيقَةِ التَّشبِيهِ البَلِيغِ؛حيثُ شَبَّه الجِبَالَ الصّلبةَ الرَّاسِيَةَ فِي تَفَتُّتِها مِن أَهوالِ القِيامَةِ بالغُبارِ المُتطَايِرِ لا يُرى إلا فِي شُعاعِ النَّافِذةِ،وفِيه تَعريضٌ بِالذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيومِ القِيامَةِ.

ثانيًا:كناية على طريقة الاستعارة

تنشأ بلاغة الكناية على طريقة الاستعارة من أنّ نسبة الكناية إلى الاستعارة نسبة الخاص إلى العام،فيقال:كل كناية استعارة،وليس كل استعارة كناية،وقد يأتي في الكلام ما يجوز أن يكون كناية،ويجوز أن يكون استعارة،وذلك يختلف باختلاف النظر إليه بمفرده والنظر إلى ما بعده،كقول نصر بن سيّار في أبياته المشهورة التي يحرض بها بني أمية: [من بحر الوافر]

(١)أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط،مصدر سابق ، ج ٢ ،ص ٦٧٣.
(٢)ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج ٢٧ ،ص ٢٨٤ .

أَرَى خَلَلَ الرَّمـــادِ وَمِيضَ جَمْرٍ ويُوشِكُ أَنْ يكُونَ له ضِرامُ
فـــإنَّ النَّارَ بالزَّندَيْنِ تُورَى وإنَّ الحَرْبَ أَوَّلُـــها كَـــلامُ
أقول من التعجبِ ليتَ شِعرِي أأيقـــاظٌ أميـــةُ أم نيـــــامُ

فالبيت الأول لو ورد بمفرده كان كناية،لأنه يجوز حمله على جانب الحقيقة وحمله على جانب المجاز،أما الحقيقة فإنه أخبر أنه رأى وميض جمر في خلل الرماد،وأنه سيضطرم،وأما المجاز فإنه أراد أن هناك ابتداء شرٍّ كامن،ومثله بوميض جمر من خلل الرماد،وبالنظر إلى الأبيات جملة،فإنّ البيت الأول منها يختص بالاستعارة دون الكناية،وكثيرًا ما يرد مثل ذلك ويُشْكِل،لتجاذبه بين الكناية والاستعارة،على أنه لا يشكل إلا على غير العارف([1]).

ومن ذلك قول الله تعالى﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (سورة الفاتحة:الآية ٦).ففي الآية الكريمة:(المُسْتَقِيم)اسْمُ فاعِلِ(اسْتَقامَ) اسْتَفْعَلَ مُطاوِعٌ(قَوَّم) فَعَّلَ."قَوَّمْتُهُ فاسْتَقامَ،والمُسْتَقِيمُ الَّذِي لا عِوَجَ فِيهِ ولا تَعارِيجَ"([2]).والمُسْتَقِيمُ هُنا كناية عن الإسلام،فهو الحَقّ البَيِّن الَّذِي لا تَخْلِطه الشُبْهَات،وهي كناية على طريقة الاستعارة التصريحية؛فالمستقيم مُسْتَعارٌ له،فَهو كالطَّرِيقِ الَّذِي لا تتشعّب منه طرق أخرى،وهو أولى الطرق بالاتباع،لِأنّه بِاسْتِقامَتِه لا يَضِلُّ فِيهِ سالِكُه.

وكذلك قوله تعالى:﴿**قُلْ لَوْ كانَ البَحْرُ مِدادًا لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي ولَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ (سورة الكهف: الآية ١٠٩).ففي الآية الكريمة:الفعل(تَنْفَدَ) قُرِئ(تَنْفَدَ) مضارع(نَفِدَ) فَعِلَ مُطاوِع(أنْفَدَ)أفْعَلَ. وقرئ(تَنَفَّدَ) تَفَعَّلَ مُطاوِع(نَفَّدَ) فَعَّلَ."نَحْوَ كَسَّرْتُهُ فَتَكَسَّرَ؛أيْ:فَنِيَ ماؤُهُ الَّذِي هو المِدادُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ الكَلِماتُ؛لِأنَّ كَلِماتِهِ تَعالى لا يُمْكِنُ نَفادُها لِأنَّها لا تَتَناهى والبَحْرُ يَنْفَدُ لِأنَّهُ مُتَناهٍ ضَرُورَةً"([3]).وفيه كِنايَةٌ عَنْ تضاؤُلِ علمِ الإنسَانِ أمام العلم الإلهي الذي لا حود له،وهي كناية على طريقة الاستعارة المكنية،حيث شبّه العلم

([1])ابن الأثير:ضياء الدين،المثل السائر،مصدر سابق،ج٣،ص٥٦،٥٥.
([2])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج١ ،ص ١٩١ .
([3])الآلوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،مصدر سابق ، ج٨ ، ص٣٧٢.
وكذلك أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط،مصدر سابق ،ج٧ ، ص ٢٣٣.

الإلهي بِالمَكْتُوباتِ،وكنّى عن المُشَبَّهِ بِهِ وأتى بشيءٍ مِن لَوازِمِهِ وهو المِدادُ الَّذِي بِهِ الكِتابَةُ(الحِبْر)لأنَّهُ تُمَدُّ بِهِ الدَّواةُ.

وكذلك قوله تعالى:﴿ **تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهم خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكم نَذِيرٌ**﴾ (سورة الملك :الآية ٨). ففي الآية الكريمة:الفعل(تَمَيَّزُ)أصلُهُ(تَتَمَيَّزُ) مضارع(تَمَيَّزَ) مطاوع (مَيَّزَ)،" ومَعْناهُ: تَنْفَصِلُ"([1]).وفيه كناية عن شدّةِ غَلَيان جهنّمَ واضطرَابِها،وهي كناية على طريقة الاستعارة المكنية،حيث شبّه جهنّم بإنسَانٍ شَدِيد الغَضَبِ عَلى غَيْرِهِ ويُصِرُّ أن يُلحِقَ الضّررَ بِه، وكنّى عن المُشَبَّهِ بِهِ وأتى بشيءٍ مِن لَوازِمِهِ وهو الغيظ.

ثالثًا:كناية على طريقة التمثيل

وقد اتجه ابن الأثير إلى أنّ بنية الكناية تتداخل أيضًا مع بنية التمثيل،وذلك في حالة التركيب دون الإفراد؛ فأما التمثيل،فهو عبارة عن مجموع الكناية،لأن الكناية إنما هي أن تراد الإشارة إلى معنى،فيوضع لفظ لمعنى آخر،ويكون ذلك اللفظ مثالا للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه،ففي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ** ﴾ (سورة ص :الآية ٢٣)،فإنه أراد الإشارة إلى النساء،فوضع لفظًا لمعنى آخر،وهو النّعاج،ثم مثّل به النّساء،وهكذا يجري الحكم في جميع ما يأتي من الكنايات،لكن منها ما يتضح التمثيل فيه،وتكون الشبهية بين الكناية والمكَنَّى عنه شديدة المناسبة،ومنه ما يكون دون ذلك في الشبهية؛وعليه فإن الكناية إذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهية،وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة في قوة المناسبة والمشابهة،من ذلك قولهم:(فلان نقي الثوب)،وقولهم:(اللمس)كناية عن الجماع،فإن نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شبهًا،لأنه إذا قيل:نقاء الثوب من الدنس كنزاهة العرض من العيوب اتضحت المشابهة،ووجدت المناسبة بين الكناية والمكَنَّى عنه شديدة الملاءمة، وإذا قيل اللمس كالجماع لم يكن بتلك الدرجة في قوة المشابهة.

([1]) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،مصدر سابق ج٥ ، ص ٥٢٦ .

ومن ذلك قوله تعالى﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ (سورة البقرة :الآية ٢٥٦).ففي الآية الكريمة: (انفصام) مصدر(انْفَصَمَ) انْفَعَل مُطاوِعُ(فَصَمَ) فَعَلَ."فَصَمْتُهُ فانْفَصَمَ،والمَقْصُودُ هنا المُبالَغَةُ؛أيْ أنّ هَذِهِ العُرْوَة لا انْحِلالَ لَها أصْلًا"([1]).وقوله:﴿لا انْفِصامَ لَها﴾ كنايةُ تعريضٍ بحال المؤمن في دنياه وآخرته،فهو ثابتُ اليَقِينِ سليمُ القَلْبِ في الدُّنْيا،وهو ناجٍ مِن السُّقُوطِ في الهَاوِيةِ في الآخِرَةِ،كَحالِ مَنْ تَمَسَّكَ بِعُرْوَةِ حَبْلٍ مَتِينٍ لا يَنْفَصِمُ.وهي كناية على طريقة التمثيل للمعلوم بالمحسوس لِيَتَصَوَّرَهُ السّامِعُ كَأنَّهُ يَنْظُرُ إلَيْهِ بِعَيْنِهِ،فيُذعنَ له ويَصحَّ فيه اعتقادُه.

وكذلك قوله تعالى﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣ ﴾ (سورة الأنبياء:الآية ٩٣). ففي الآية الكريمة: الفعل (تَقَطَّعَ) تَفَعَّلَ مُطَاوِعُ (قَطَعَ)فَعَلَ،"أَيْ تَفَرَّقُوا"([2]).وقوله:وَتَقَطَّعُوٓا فيه كناية عن وحدة أمة الرسل،ووحدة القاعدة التي تقوم عليها الرسالات،ثم إنّه أرادَ الإشارةَ إلى التفرّق بين أتباعِ الرسلِ الواحدِ،فوضع لفظًا لمعنى آخر،وهو التَّقطُّع،تَمْثِيلًا لِاخْتِلافِهِمْ فِي دينهم وتمزّقهم فِرَقًا وأحْزابًا شَتّى.

رابعًا:كناية على طريقة المجاز المرسل

تنشأ بلاغة الكناية على طريقة المجاز إيثارًا للجمال الفنّي،وإيجازًا واقتصادًا في العِبارَةِ بالنّسبةِ إلَى مَضَامينها الفكريّةِ الّتي يُرادُ بَيَانُهَا؛من ذلك قوله تعالى﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾ (سورة طه: الآية١٣٢).ففي الآية الكريمة:الفعل(اصْطَبَر)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(صَبَرَ) فَعَلَ."والِاصْطِبارُ: الِانْحِباسُ ... فالمُرادُ كَما تَأْمُرُهم فَحافِظْ عَلَيْها فِعْلًا، فَإنَّ الوَعْظَ بِلِسانِ الفِعْلِ أتَمُّ مِنهُ بِلِسانِ القَوْلِ"([3]).وَٱصۡطَبِرۡ

([1])الرازي: فخر الدين،مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)،مصدر سابق، ج ٧ ،ص١٦ . وانظر كذلك البقاعي: إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ،ج ٤ ،ص٤٣ .

([2])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج١٧ ،ص ١٤٢ .

([3])المصدر نفسه ، ج١٦ ،ص ٣٤٢ .

هنا كناية عن المشقة التي تلازم رعاية العبادة حقّ رعايتها.وهي كناية على طريقة المجاز(مجاز مرسل في لفظ مفرد علاقته اللازمية)ففي الصبر مَجازٌ مُرْسَلٌ عَنِ المُداوَمةِ،فأطلق الاصطبار وأراد المداومة،إذ يلزم من المداومة على الطاعة الاصطبار عليها، فهذا من إطلاق اللّازم وإرادة الملزوم.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾(سورة القمر:الآية ١).ففي الآية الكريمة:الفعل (اقْتَرَبَ)افْتَعَلَ مُطاوِع(قَرُبَ) فَعُلَ.والفعل(انْشَقَّ)انْفَعَلَ مُطاوِعُ(شَقَّ) فَعَلَ."وفائِدَةُ هَذا الِاعْتِبارِ أنْ يُقْبِلَ النّاسُ عَلى نَبْذِ الشِّرْكِ،وعَلى الِاسْتِكْثارِ مِنَ الأعْمالِ الصّالِحاتِ واجْتِنابِ الآثامِ لِقُرْبِ يَوْمِ الجَزاءِ(١)،واقتراب الساعة وانشقاق القمر كنايتان عن قُرْب زوالِ العالَمِ وفنائِه.وهما كنايتان على طريقة المجاز المرسل في الإسناد،وهو المسمى بالمجاز العقلي؛ففي قوله:اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ المسند هو الفعل اقتربت وهو مستعمل فيما وضع له لغة وهو قَرُبَتْ أو أَزِفَتِ،ولا مجاز فيه.والمسند إليه هو السّاعة مستعمل أيضًا فيما وضع له لغة ولا مجاز فيه،لكن المجاز في الإسناد وهو نسبة الاقتراب إلى الساعة،وهذا من المجاز العقلي.ونحوه قوله تعالى:انْشَقَّ الْقَمَرُ كلٌّ من المسند والمسند إليه حقيقة،والإسناد مجاز عقلي،لأن القمر ليس هو من يشقّ نفسه.

وكذلك قوله تعالى:﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾(سورة الانشقاق:الآية ١)،وقوله تعالى:﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾(سورة الانفطار: الآية ١ ـــ ٢)،وقوله تعالى:﴿وإذا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾(سورة التكوير:الآية ٢)، ففي الآيات الكريمات:الفعل(انْشَقَّ)انْفَعَلَ مُطاوِعُ(شَقَّ) فَعَلَ.أيْ:حِينَ يَشُقُّ السَّماءَ شاقٌّ فَتَنْشَقُّ،أيْ:يُرِيدُ اللَّهُ شَقَّها فانْشَقَّتْ(٢).والفعل(انْفَطَرَ)انْفَعَلَ مُطاوِعُ(فَطَرَ) فَعَلَ،إذا جُعِلَ الشَّيْءُ مَفْطُورًا،أيْ:مَشْقُوقًا ذا فُطُورٍ.والفعل(انْتَثَر) افْتَعَلَ مُطاوِعُ(نَثَرَ) فَعَلَ.إذا جُعِلَ الشَّيْءُ مَفْطُورًا،أيْ:مَشْقُوقًا ذا فُطُورٍ(٣).والفعل(انْكَدَرَ)انْفَعَلَ مُطاوِعُ (كَدَّرَ) فَعَّلَ. "أيْ:حَصَلَ لِلنُّجُومِ انْكِدارٌ مِن تَكْدِيرِ الشَّمْسِ لَها حِينَ زالَ عَنْها انْعِكاسُ نُورِها، فَلِذَلِكَ ذُكِرَ مُطاوِعُ

(١)المصدر نفسه ،ج ٢٧ ، ص١٧٠ .
(٢)ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق ،ج ٣٠ ،ص ٢١٨ .
(٣)انظر المصدر نفسه ،والجزء نفسه، ص١٧١.

كَدَّرَ دُونَ ذِكْرِ فاعِلِ التَّكْدِيرِ.والكُدْرَةُ:ضِدُّ الصَّفاءِ،كَتَغَيُّرِ لَوْنِ الماءِ ونَحْوِهِ.وفُسِّرَ الِانْكِدارُ بِالتَّساقُطِ والِانْقِضاضِ"([1]).

فَانشِقَاقُ السَّماءِ وانفِطَارُها،وانتِثَارُ الكَواكِبِ،وانْكِدارُ النُّجُومِ، كُلُّها كِنَايَاتُ إِشَارةٍ إِلى أَهوالِ يَومِ القِيامَةِ عَلَى طَرِيقَةِ المَجَازِ المُرسَلِ فِي الإِسنَادِ،فَكلٌّ مِن المُسندِ والمُسندِ إِليهِ حَقِيقةٌ،والإِسنادُ مَجازٌ عَقلِيٌّ،لأنّ السَّماءَ لا تَشَقُّ ولا تَنفِطرُ مِن نَفسِها،وكَذلك الكَواكبُ والنُّجومُ لا تُنْثَرُ ولا تَنكَدِرُ مِن ذَاتِهَا،ولكنَّهَا فَعَلَتْ فِي انْقِيَادِها للهِ حِينَ أَمرَهَا فِعلَ المُطوَاعِ،وأذْعَنتْ لِلأَمرِ ولَم تَأبَ ولم تَمتَنِعْ.

وكذلك قوله سبحانه﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ ﴾ (سورة ص:الآية ٣٥). ففي الآية الكريمة:الفعل(يَنْبَغِي) مضارع(انْبَغَى)انْفَعَل مُطاوِعُ(بَغَى) فَعَلَ.يُقالُ:بَغاهُ فانْبَغى لَهُ([2]).فقد كنّى بقوله:(لَّا يَنۢبَغِي)عَن مَعنى لا يُعْطَى لِأَحَدٍ،أيْ لا تُعْطِيهِ أحَدًا مِن بَعْدِي،إيماءً بنُبُوَّتِهِ ومعجزته الخارقة للعادة التي بلغت حَدَّ الإعْجازِ.وهي كناية على طريقة المجاز المرسل(العقلي)؛إذ إن إسنادَ الانبغاءِ إلى المُلكِ مجازٌ عقليٌّ، لأنَّ المُلكَ لا اختِيارَ له ولا انبِغَاءَ،وإنَّما اللهُ هو المُعطِي الذي يُيسِّرُ أسْبَابَه.

المحور الثالث:الأغراض البلاغيّة لكنائية الفعل المطاوع في السياق القرآني:

وتباعًا لما سبق فإن الكناية القرآنية في الفعل المطاوع تعدّ من ألطف أساليب البلاغة القرآنية وأدقها،فهي تمكّن المتكلم من التعبير عن أمور كثيرة،يتحاشى الإفصاح بذكرها،إمّا احترامًا للمخاطب،أو للإبهام على السّامعين،أو للنيل من خصمه،دون أن يدعَ له سبيلا عليه،أو لتنزيه الأذن عمّا تنبو عن سماعه،ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية،ومن تلك الأغراض ما يلي :

([1])المصدر نفسه ، والجزء نفسه ،ص١٤١، ١٤٢ .
([2])المصدر نفسه، ج٢٣ ، ص٢٦٢ .

الغرض الأول: إيثار الأسلوب غير المباشر في الكلام، إذا كان مقتضى الحال يستدعي ذلك

فمن المعلوم أنّ الأسلوب غير المباشر أكثر تأثيرًا فيمن يُقْصَد توجيه الكلام له غالبًا،فحينما أراد الله أن يبيّن للمؤمنين أنّ اختيارهم للقيام بمهمة إقرار دينه في الأرض،والتمكين لسلطانه بين الخلق،نعمة منه وفضل، ومن شاء أن يرفض هذا الفضل،فالله هو الغني ويختار مَن هُو أهلٌ لذلك الفضل،نجد أنّ خطابه لهم قد عَدَل عن هذا الأسلوب المباشر في الكلام،مستخدمًا الكناية عن ذلك بالربط بين موالاة اليهود والنصارى وبين الارتداد عن الإسلام،فمن يتولاهم فقد انسلخ من المسلمين معرضًا عن فضل الله ومنته،فيقول تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ (سورة المائدة:الآية ٥٤).

ففي الآيةِ الكريمةِ:الفعل(يرتَدَّ) مضارع(ارْتدَّ)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(رَدَّ) فَعَل."والرَّدُّ هو الإرْجاعُ إلى مَكانٍ أوْ حالَةٍ،وقَدْ يُطْلَقُ الرَّدُّ بِمَعْنى التَّصْيِيرِ،ثُمَّ غَلَبَ اسْمُ الِارْتِدادِ عَلى الخُرُوجِ مِنَ الإسْلامِ ولَوْ لَمْ يَسْبِقْ لِلْمُرْتَدِّ عَنْهُ اتِّخاذُ دِينٍ قَبْلَهُ"([1]). وفيه تعريضٌ بالمنافقين وضِعافِ الإيمَانِ مِمَّن يُوالُون اليَهودَ والنَّصارَى؛تحقيرًا لشأنهم،ولإظْهار الِاسْتِغْناءِ عَنهم، وفيه إشارَةٌ إلى أنَّ مُوالاةَ اليَهُودِ والنَّصارى أوْلِياءَ دافِعٌ لِلِارْتِدادِ.

ومنه أيضًا أنَّه سبحانَه أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لِعبَادِه أَنَّ الرِّزقَ رَحمةٌ دُنيَوِيَّةٌ تَعمُّ البَرَّ والفَاجِرَ،والمُؤمِنَ والكَافِرَ،وأنَّ الرِّزقَ للمُؤمِنِ تَفَضُّلٌ مِن اللهِ وإحسَانٌ،وللكَافِرِ اسْتدرَاجٌ وامْتِهَانٌ؛لذا فإنَّ تَمتُّعَه بالرِّزقِ لا يَتعَدَّى إلى الآخِرةِ،بل سيكونُ سببَ عذابِه،وبِئْسَتِ الصَّيْرُورَةُ صَيْرُورَتُهُ إلى العَذابِ،فعدل عن هذا الأسلوب المباشر في الكلام،مستخدمًا الكناية عن ذلك بقوله تعالى﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ

([1])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٦ ، ص٢٣٥ .

ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (سورة البقرة :الآية١٢٦). ففي الآية الكريمة:الفعل (أَضْطَرُّ) مضارع (اضْطَرَّ) افْتَعَلَ مُطاوِعُ(أضرَّ) أَفْعَلَ."والاضْطِرارُ في الأصْلِ الالتِجاءُ ... إذا صَيَّرَهُ ذا ضَرُورَةٍ أيْ حاجَةٍ"([1])،وفيه كناية عَنْ سَلْبِ إِرَادةِ من كَفَر بنعم الله في الآخرة؛فالعَذاب واقعٌ بِهِ وُقُوعًا مُحَقَّقًا.

ومنه كذلك أنه أراد أن يكشف للمؤمنين مِمّنْ تاقت أنفسهم لقتال عدوّه وعدوّهم عن جانب من حكمته في عدم الإذن لهم بالقتال،فلقد كان هنالك بعض المستضعفين من المسلمين في مكة لم يهاجروا،ولو كتب القتال، وهاجموا مكة،فربما قتلوهم خطأ،فيقال:إن المسلمين يقتل بعضهم بعضًا،فعدل عن هذا الأسلوب المباشر إلى الكناية بقوله تعالى﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ : سورة الفتح :الآية ٢٥). ففي الآية الكريمة:الفعل(تَزَيّلَ)تَفَعَّلَ مُطاوِعُ(زَيَّلَ) فَعَّلَ."إذا أبْعَدَهُ عَنْ مَكانِ.وهو هُنا بِمَعْنى التَّفَرُّقِ والتَّمَيُّزِ"([2])،وفيه كِنايَة عَنِ المُؤمِنِينَ الّذِينَ لَم يُعْلِنُوا إسلامَهم تُقيَةَ الكُفّارِ،ولَوْلا وُجُودُهم بينَ المُشْرِكِين غيرَ مُتَمَيّزِينَ مِنهم لعذَّبهُم بِكُفْرِهِمْ وصَدِّهِمْ.

<u>الغرض الثاني: كون التعبير المكنَّى به ينبّه على معنىً لا يؤدّيه اللّفظ الصّريح المكنَّى عنه</u>

فلو خاطب الله النّاس،فقال:أوشكتْ ٱلسَّمَـٰوَاتُ أن تنشقَّ من زَعمِكم الولد لي،لم يكُنْ في قولِه الهولُ والشِّدَّةُ مثل قوله:﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ (٨٨: ٩٠)، ففي الآية الكريمة:الفعل(يتَفَطَّرْنَ) مضارع(تَفَطَّر)تَفَعَّلَ مُطاوِعُ(فَطَّرَ) فَعَّلَ.وقُرِئَ:(يَنْفَطِرْنَ) مضارع (انْفَطَرَ)انْفَعَلَ مُطاوِعُ(فَطَرَ)فَعَلَ؛"بمعنى يَتَشَقَّقْنَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرى مِن عِظَمِ ذَلِكَ الأمْرِ"([3])،ولذلك كانَ التعقيب بقوله:﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾ (سورة مريم

([1])المصدر نفسه ،ج ١ ،ص٧١٧ .
([2])المصدر نفسه ،ج ٢٦،ص ١٩٢ .
([3])ابن عاشور:الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق ،ج١٦ ، ص ١٧١. وكذلك أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مصدر سابق،ج ٥ ،ص ٢٨٢ .

:الآية ٩٢)،ففي الآية الكريمة: الفعل(يَنْبَغِي) مضارِعُ(انْبَغى)انْفَعَل مُطاوِعُ (بَغَى)فَعَلَ،"والمُرادُ بقوله:(وما يَنْبَغِي)؛أي لا يَلِيقُ بِهِ سُبْحانَهُ اتِّخاذُ الوَلَدِ ولا يَتَطَلَّبُ لَهُ عَزَّ وجَلَّ لِاسْتِحالَةِ ذَلِكَ في نَفْسِهِ لِاقْتِضائِهِ الجُزْئِيَّةِ أوِ المُجانَسَةِ"([1]).

والسِّياقُ هنا يوظّف الكنايةَ في قوله:(يتَفَطَّرْنَ)وقوله:(وما يَنْبَغِي) في إطارِ تقديسِ الذاتِ العَلِيّةِ،وفيه تَعْرِيضٌ بِالنَّصارى واليهود الَّذِينَ شابَهُوا المُشْرِكِينَ في نِسْبَةِ الوَلَدِ إلى الله؛فقال المشركون من النصارى:المسيح ابن الله، والمشركون من اليهود:عزير ابن الله،والمشركون من العرب:الملائكة بنات الله؛ومن ثمَّ يُظهر غضبَ الكونِ وانتفاضَه؛سماءً،وأرضًا،وجبالاً غَيْرَةً لبارئهم؛استعظامًا لتلك الكلمةِ النابيةِ التي تُجافِي فطرتَهم.

ولو خاطبَ اللهُ تعَالَى المُؤمِنِينَ:اصْبِرُوا عَلى الطّاعَةِ مع نَبِيِّكُم فمَا عِندِي خَيرٌ من التِّجَارةِ واللهوِ،أو كان خطابُه لمن تركوا خطبة الجمعة،وانصرفوا إلى التجارة بقوله:وإذا رأيتُم لهوًا أو تجارةً فلا تنفضُّوا من حولِ نَبِيِّكُم،لم يكُنْ وقعُه فِي النّفسِ،حيثُ التوبيخُ والتقريعُ،وإرادةُ التحقيرِ والتقليلِ من شَأنِهم،مثل قوله تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة الجمعة:الآية ١١)، ففي الآية الكريمة: الفعل(انْفَضّ)انْفَعَل مُطاوِعُ(فَضّ)فَعَل.وفيه كنايةُ تعريضٍ بالذين فَرَّطُوا فِي خُطْبَةِ الجُمُعَةِ،فقد خَاطَبَهم بضَمِيرِ الغائبِ،ليُشِيرَ إلى أنّهم بانفضَاضِهم ليسُوا أهلًا لأن يوجّه الخطابُ إليهم،فقد"حُرِمُوا مِن عِزِّ الحُضُورِ...فَرُبَّ رِزْقٍ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ الحَرِيصُ عَلَيْهِ وإنْ كانَ كَثِيرًا،ورُبَّ رِزْقٍ قَلِيلٍ يَنْتَفِعُ بِهِ صاحِبُهُ ويَعُودُ عَلَيْهِ بِصَلاحٍ"([2]).

([1])أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط،مصدر سابق، ج٧ ،ص٣٠٣.وكذلك ابن عاشور:الطاهر :تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق ج ١٦ ، ص١٧٢ .وكذلك الآلوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،مصدر سابق،ج٨ ،ص ٤٥٦ .

([2])ابن عاشور:الطاهر، التحرير والتنوير ،مصدر سابق ، ج ٢٨،ص ٢٢٩.

الغرض الثالث: كَوْنَ المكنَّى به أجمل عبارةً،وأعذب لفظًا من المكنَّى عنه

ومن أغراض الكناية المطاوعية في السِّيَاق القرآنِيِّ مراعاةُ الجَمالِ الفنّي فِي تَصويرِ المَعاني؛الأمر الذي يوثر في نفوس مستمعي القرآن أو قارئيه،فتذعن له قلوبهم وأذهانهم؛من ذلك قول الله تعالى:﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ ﴾ (سورة البقرة :الآية ١٥٨). ففي الآية الكريمة:الفعل(تَطَوَّعَ) تَفَعَّلَ مُطاوِعُ(طَوَّعَ)فَعَّلَ."وتَطَوَّعَ بِمَعْنى فَعَلَ طاعَةً وتَكَلَّفَها... فَيَدُلُّ عَلى مَعْنى التَّبَرُّعِ غالِبًا لِأنَّ التَّبَرُّعَ زائِدٌ في الطّاعَةِ"([1]).فقد كنّى عن الزيادة في الطاعة أو النافلة بقوله: تَطَوَّعَ،وهنا يلمس السياق القرآني الحس النفسي بكل رفق وجمال،وذلك حين قال:تَطَوَّعَ ولم يقل تكلّف؛ليدلّ على أن إقبَالَهم عَلى الطّاعةِ بمَحبُوبِيَّةٍ من نفُوسِهم لا بإجْبارٍ أو إكراهٍ.

الغرض الرابع: كَوْنُ المكَنَّى عنه ممّا يَحْسُن سَتْرُهُ،ويقبُحُ التصريح به؛ إذْ هو من العورات، أو من المستقذرات، أو من المستقبحات

ومن محاسن الكناية في الصيغة المطاوعية الإعراض عمّا يقبح ذكره،والترفع عن التصريح بالألفاظ التي تخدش الحياء،وتحط من الذوق التهذيبي ـــــ فضلا عن الجمالي ـــــ للتعبير القرآني؛من ذلك قوله تعالى:﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ ﴾ (سورة الطارق:الآية (٥ ـــ ٧). ففي الآيات الكريمات:(دافِقٍ) اسْم فاعِل بمعنى المَفْعُول؛أي(مدفوق) من الفعل(دَفَقَ) فَعَلَ مُطاوِع(دَفَقَ) فَعَلَ. والفعل (تَدَفَّقَ) تَفَعَّلَ مطاوع(دفَّقَ) فَعَّلَ."وأطْنَبَ في وصْفِ هَذا الماءِ الدّافِقِ لِإدْماجِ التَّعْلِيمِ والعِبْرَةِ بِدَقائِقَ التَّكْوِينِ لِيَسْتَيْقِظَ الجاهِلُ الكافِرُ ويَزْدادَ المُؤْمِنُ عِلْمًا ويَقِينًا"([2]).ودافِقٍ كناية عن الجماع وغشيان الرجل زوجته؛إذ يتدفق ماء الرجل وماء المرأة في علاقة حميمية يلتقي فيها الزوجين قلبًا وروحًا وجسدًا.وهكذا نجد دقة الكناية المهذّبة التي وجّهت

([1])ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق ،ج٢ ، ص ٦٤.
([2])المصدر نفسه ،ج٣٠ ، ص٢٦٢.وكذلك الآلوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،مصدر سابق ،ج١٥ ،ص ٣٠٨.

حيوية العلاقة بين الزوجين بكامل طاقتها وجهة تليق بالتعبير القرآني؛حيث الغاية من تلك العلاقة الكريمة وهي استمرار الحياة واستئنافها بإنجاب ابن آدم.

ومنه قوله تعالى:﴿**واذْكُرْ في الكِتابِ مَرْيَمَ إذِ انْتَبَذَتْ مِن أهْلِها مَكانًا شَرْقِيًّا**﴾(سورة مريم:الآية ١٦). ففي الآية الكريمة:الفعل(انْتَبَذَ)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(نَبَذَ)فَعَلَ.وانْتَبَذَتْ"ابْتَعَدَتْ عَنْ أهْلِها في مَكانٍ شَرْقِيٍّ"([1]).وفيه كناية عن خلوتها إلى نفسها لبعض شؤونها الخاصة،وقد وجّهت الكناية المهذّبة السياق بما يليق بقداسة القرآن الكريم؛فلم يحدد ماهية هذا الشأن، فربما توارت عنهم وابتعدت لِتَغْتَسِلَ أو لِتَمْتَشِطَ .

وكذلك الكناية عمّا هو مستقذر تأنف منه النفس،ومنه قوله سبحانه:﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾

(سورة إبراهيم:الآية١٧). ففي الآية الكريمة:الفعل(تَجرَّعَ) تَفَعَّلَ مُطاوِعُ (جَرّعَ) فَعَّلَ."يُقالُ:جَرَّعَهُ فَتَجَرَّعَ"([2]).وصيانة للسياق القرآني عن كلّ مستقذر تأنه النفس،كنّى بقوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ عن قذارة شراب أهل الجحيم ونتانته،فَيَطُولُ عَذابُهُ تارَةً بِالحَرارَةِ والعَطَشِ وأُخْرى بِشُرْبِهِ عَلى تِلْكَ الحالَةِ؛ذلك أن القذارة آتية من نوع هذا الشراب الذي هو عصارة أجساد أهل الجحيم والصديد السائل منها.

الغرض الخامس: إرادة إيضاح المكنَّى عنه بما في المكنَّى به من توضيح له

من جماليات الكناية القرآنية في الفعل المطاوع نقل المعاني في صورة أكثر تأثيرًا وإيضاحًا؛من ذلك قول الله تعالى: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ**﴾(سورة البقرة:الآية ١٤٤).

ففي الآية الكريمة:الفعل(تَقَلَّبَ) تَفَعَّلَ مطاوِع(قَلَّبَ) فَعَّلَ."يُقالُ:قَلَّبَ إذا رَدَّدَ.فالتَّكْثِيرُ إنَّمَا فُهِمَ مِنَ التَّقَلُّبِ الَّذِي هُوَ مُطاوِعُ التَّقْلِيبِ،نَحْوَ:قَطَّعْتُهُ فَتَقَطَّعَ،وكَسَّرْتُهُ فَتَكَسَّرَ،ومَا طاوَعَ التَّكْثِيرَ

([1]) ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج ١٦،ص٧٩ .
([2])الآلوسي: شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مصدر سابق ، ج٧ ، ص١٩١ .

فَفِيهِ التَّكْثِيرُ"([1]).وفيه كناية متعددة المعاني؛ حيث مَيلُ قلبِ النّبي ﷺ إلى الكَعْبَةِ،وترقّبه نزول الوحي بتحويل القبلة إليها دون أن يصرّح بدعاء،لكمال أدبه ﷺ مع ربه،وتحرّجًا من أن يقدّم بين يديه أو يقترح عليه.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ ﴾(سورة القمر :الآية ٧).

ففي الآية الكريمة:(مُنْتَشِرُ)اسم فاعل من(انْتَشَر)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(نَشَرَ) فَعَلَ." فَكَأَنَّهم جَرادٌ يَتَحَرَّكُ مِنَ الأَرْضِ ويَدِبُّ إشارَةً إلى كَيْفِيَّةِ خُرُوجِهِمْ مِنَ الأَجْداثِ وضَعْفِهِمْ"([2]).وقوله:مُّنتَشِر فيه كنايةٌ عن حَيرَتِهِم وقتَ خُروجِهِم فَلا جِهَةَ لأحَدٍ منهم يقْصدها،فهي كنايةٌ على طريقَةِ التّمثِيل،إذ مثّلهم بِالجَرادِ المُنْتَشِرِ في الكَثْرَةِ والتَّمَوُّجِ.

<u>الغرض السادس: إرادة بيان بعض صفات المكنَّى عنه مع الاختصار</u>

ومن المقاصد البلاغية الحسنة للكناية المطاوعة في السياق القرآني،التعبير عن المقصود بعبارات أقل مع الإبانة والإفصاح؛من ذلك قوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا**﴾(سورة الأعراف:الآية ١٤٣).ففي الآية الكريمة:الفعل(تَجَلَّى) تَفَعَّلَ مُطاوِعُ(جَلَّى) فَعَّلَ."أيْ أظْهَرْتُهُ يُقالُ:جَلَّيْتُهُ فَتَجَلّى؛أيْ:أظْهَرْتُهُ فَظَهَرَ"([3]).

وفي قوله:تَجَلّى اختصارُ خَبرٍ يُعْلَمُ مِنهُ أنَّ الجَبَلَ تَوَجَّه إلَيْهِ شَيْءٌ مِن شَأْنِ الجَلالِ الإلَهِيِّ،وأنَّ قُوَّةَ الجَبَلِ لم تَسْتَقِر عِنْدَ ذَلِكَ التَّوَجُّهِ العَظِيمِ،حينها علِمَ مُوسى عليه السَّلام أنَّهُ أحْرى بِالتَضاؤُلِ لَوْ تَجَلّى لَهُ شَيءٌ مِن سُبُحاتِ اللَّهِ تَعالى.وفي هذا كلِّه كنايةٌ عن أنّ لِلْجَبَلِ حَياةً وحِسًّا وإدْراكًا،وهي كنايةٌ على طريقة المجاز المرسل في إسناد الإدراك للجبل،وفيها تعريض بإزالَة الحُجُبِ المُعْتادَةِ الَّتِي جَعَلَها اللَّهُ بَيْنَ مخلوقاته وبين جبروته الذي يستأثر به سبحانه وتعالى.

([1])ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٢،ص٢٧. وكذلك أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط،مصدر سابق،ج ٢ ،ص ٢٢. وكذلك الآلوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،مصدر سابق، ج١ ،ص٤٠٧.

([2]) الرازي: فخر الدين،مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)،مصدر سابق،ج٢٩ ،ص ٣٠٨.

([3])الآلوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،مصدر سابق ،ج ٥ ،ص٤٤ .

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾(سورة الزخرف:الآية ١٠).

ففي الآية الكريمة:الفعل(تَهتَدُونَ) مضارع(اهْتَدَى)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(هَدَى) فَعَلَ."والهِدايَةُ حَقِيقَتُها:الدَّلالَةُ عَلى المَكانِ المَقْصُودِ،ومِنهُ سُمِّيَ الدّالُّ عَلى الطَّرائِقِ هادِيًا"([1]).وقوله:تَهتَدُونَ اختصار الحكي عن تَيْسِيرِ وسائِلِ السَّيْرِ في الأرْضِ،ولُطْفِ الله العَظِيمِ بخلقِه؛لِأنَّ بِهِ تَيْسِيرَ اجْتِلابَ المَنافِعِ،والِاسْتِعانَةَ عَلى دَفْعِ والأضْرارِ،ولهذا فقد جعل اللَّه في الأرْضِ مَعايشَ النّاسِ.وفي هذا كلِّه كنايةٌ عن تَفَرُّدِهِ سبحانه بِالإلَهِيَّةِ وبِإسْداءِ النِّعَمِ التي بها قوامُ حياةِ البشرِ.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:﴿ وَيَضِيقُ صَدۡرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

(سورة الشعراء: الآية ١٣).

ففي الآية الكريمة:الفعل(يَنطَلِق)مضارعُ(انْطَلَقَ)انْفَعَلَ مُطاوِعُ(أطلَقَ)أَفْعَلَ." يُنْبِئُ بِأنَّهُ أرادَ بِضِيقِ الصَّدْرِ تَكاثُرَ خَواطِرِ الِاسْتِدْلالِ في نَفْسِهِ عَلى الَّذِينَ كَذَّبُوهُ لِيُقْنِعَهم بِصِدْقِهِ حَتّى يَحُسَّ كَأنَّ صَدْرَهُ قَدِ امْتَلَأ...فَإذا كانَتْ في لِسانِهِ حُبْسَةٌ وعِيٌّ بَقِيَتِ الخَواطِرُ مُتَلَجْلِجَةً في صَدْرِهِ.والمَعْنى:ويَضِيقُ صَدْرِي حِينَ يُكَذِّبُونَنِي ولا يَنْطَلِقُ لِسانِي"([2]). وقوله:(لا ينطلق لساني)فيه اختصار الحكي عن شكوى موسى(عليه السلام)ضعفه إلى ربه،وحاجته إلى هارون أخيه وزيرًا له يجادل القوم ويحاججهم.وفيه كناية عن ثِقَلِ لِسانِه عليه السلام وانْحباسِه،فَلا يُبين عِنْدَ إرادَةِ المُحاجَّةِ والجدالِ.

الغرض السابع:

إرادة مَدْح المكنَّى عنه بذكر ما يُمْدَحُ به ، مع الاقتصار على ذكر اللفظ المكنَّى به

ومن المقاصد البلاغية للكناية المطاوعة تزيين المكنّى عنه،ومدحه بما يكنّى به؛من ذلك قوله تعالى:﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ ﴾ (سورة

([1])ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج ٢٥ ،ص١٦٩.
([2])المصدر نفسه،ج١٩ ،ص ١٠٦ .

الإسراء:الآية ١٠٦). في الآية الكريمة:الفعل (افْتَرَقَ)افْتَعَلَ مطاوع(فَرَقَ) فَعَلَ.أراد هنا أن يمتدح القرآن هذا المنهج الربّانيّ الذي نزل مُنَجَّمًا مُفَرَّقًا ليفرّق بين الحق والباطل،بأنه منهج أشد حيوية وأقوم وأكثر فاعلية وانطباقا على الفطرة البشرية،فكنّى عن ذلك بقوله:فَرَقْنَاهُ بِالتَّخْفِيفِ:بَيَّنّاهُ،وفَصَّلْناهُ،والحِكْمَةُ في ذَلِكَ أنْ تَكُونَ ألْفاظُهُ ومَعانِيهِ أثْبَتَ في نُفُوسِ السّامِعِينَ"([1]).ونحوه قول الله تعالى:﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ (سورة مريم: الآية ٦٤). ففي الآية الكريمة:الفعل(نَتَنَزَّلُ) مضارع(تَنَزَّلَ) تَفَعَّلَ مُطَاوِع(نَزَّلَ) فَعَّلَ."والمَعْنى:وما نَتَنَزَّلُ وقْتًا غِبَّ وقْتٍ إلّا بِأمْرِ اللَّهِ تَعالى عَلى ما تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ"([2]).وفيه كناية عن أن نزول جبريل عليه السلام بالقرآن على قلب محمدٍ ﷺ كان منجّمًا وفْق عِلْمِ الله وحِكْمَتِهِ.

ومنه قوله تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (سورة الحجرات:الآية ٧). ففي الآية الكريمة:(رَاشِدون)اسمُ فاعلٍ من(رَشَدَ)فَعَلَ مُطاوِع(أرْشَدَ)أفْعَلَ.أراد هنا أن يمتدح المؤمنين الأصفياء الَّذِينَ أحَبُّوا الإيمانَ وتَزَيَّنَتْ بِهِ قُلُوبُهم،وكَرِهُوا الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصْيانَ،بالاستقامة على طريق الحق يأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه،فكنّى عن ذلك بقوله:الرّاشِدُونَ،"والرُّشْدَ هاهُنا يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ تَعالى مُرْشِدًا إذْ هو مُطاوِعٌ أرْشَدَ،والرُّشْد مِن فَضْلِ اللَّهِ تَعالى وإنْعامِهِ"([3]).

<u>الغرض الثامن: إرادة ذمّ المكنَّى عنه بذكر ما يُذَمّ به، مع الاقتصار على ذكر اللفظ المكنَّى به</u>

ومن المقاصد البلاغية للكناية المطاوعة تقبيح المكنّى عنه،وذمّه بما يكنّى به؛من ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ ﴾(سورة البقرة:الآية ١٠٢). ففي الآية الكريمة:الفعل (يتَعَلَّمُونَ)مضارع (تَعَلَّم)تَفَعَّلَ مطاوِعُ(عَلّم)فَعَّلَ.أراد أن

([1])الرازي: فخر الدين،مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)،مصدر سابق،ج٢١،ص ٤١٧.
([2])أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط،مصدر سابق، ج٧ ص٢٨٠ ،٢٨١ .وكذلك الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،مصدر سابق،ج ٨ ، ص٤٣١ .وكذلك أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مصدر سابق،ج ٥ ،ص٢٧٣ .
([3])الآلوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،مصدر سابق،ج ١٣ ،ص ٣٠١ .

يذمّ اليهود ويعرّض بحالِ كُفْرِهِمْ المصحوبِ بِتَعْلِيمِ السِّحْرِ، فكنّى عن ذلك بقوله:يُعَلِّمُونَ،"وذَلِكَ لا يَسْتَتِبُّ إلّا بِمَن يُناسِبُهُ في الشَّرارَةِ،وخُبْثِ النَّفْسِ،فَإنَّ التَّناسُبَ شَرْطُ التَّضامِّ والتَّعاوُنِ"([1]).وفي هذا إشارة إلى ما انْطَوَت عليه أنفسُهُم من خُبثٍ وضلالٍ.

ومنه قوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة الشمس: الآية ١١ ـــ ١٢).

ففي الآيتين الكريمتين:الفعل(انْبَعَثَ)انْفَعَلَ مُطاوِعُ(بَعَثَ)فَعَلَ.أراد أن يذمّ ثمود وطغيانهم حِينَ انْبَعَثَ أشْقاها عاقر النّاقَة،فكان طغيانهم سببًا لتكذيبهم،ومن ثمّ حملوا التبعة وعُدّوا أنّهم عقروها،لأنهم أهملوا النصح فلم يأخذوا على يده،بل ارتضوا فعلته واستحسنوها،فكنّى عن ذلك بقوله:ٱنۢبَعَثَ؛لِأنَّ "الانْبِعاثَ لِعَقْرِ النّاقَةِ كانَ عَنْ إغْراءٍ مِنهم إيّاهُ...يُقالُ:بَعَثْتُ فُلانًا عَلى الأمْرِ فانْبَعَثَ لَهُ"([2]) .

وكذلك قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة المجادلة:الآية ٩).

ففي الآية الكريمة:الفعل(تَناجَى)تَفاعَلَ مُطاوِعُ(نَاجَى)فَاعَلَ.أراد أن يذم التناجي والتشاور فيما لا يرضي الله ورسوله،فوجَّهَ الخِطابَ إلَى المؤمنين تَعْلِيمًا لَهم بِما يَحْسُنُ مِنَ التَّناجِي وما يَقْبُحُ مِنه،وكنّى عن ذلك بقوله: (وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ) كنايةَ تعريض بالمنافقين وقُبحِ تناجيهم([3]).

وكذلك أيضًا قوله سبحانه:﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (سورة المطففين: الآية ٣).

ففي الآية الكريمة:الفعل(اكْتَالَ)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(كَالَ) فَعَلَ.أراد أن يذمّ التَّساهُلَ في تطْفِيفِ الكيلِ،ويحذِّرَ المُسْلِمِينَ مِنَ ذلك؛إذْ وجَدُوهُ فاشِيًا في المَدِينَةِ في أوّلِ هِجْرَتِهِمْ،وحَسْبُهم أنَّ

([1])المصدر نفسه ،ج ١، ص٣٤٢ .
([2])الرازي: فخر الدين،مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)،مصدر سابق،ج ٣١ ،ص ١٧٩ . ابن عاشور:الطاهر :تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق،ج ٣٠ ، ص٣٧٣.
([3])الرازي: فخر الدين،مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)،مصدر سابق،ج ٢٩ ،ص ٤٩١ .

التَّطْفِيفَ يَجْمَعُ ظُلْمًا،واخْتِلاسًا،ولُؤْمًا،فكنّى عن ذلك بقوله: كَالُوهُمْ."والِاكْتِيالُ:افْتِعالٌ مِنَ الكَيْلِ،وهو يُسْتَعْمَلُ في تَسَلُّمِ ما يُكالُ"(١).

الغرض التاسع: إرادة صيانة اسم المكنَّى عنه، وإبعاده عن التداول

ومن محاسن الكناية المطاوعة ذكر ما يدُلُّ على المكنّى عنه من ألقاب أو كُنَى أو صفات؛حتى لا يتداول بين العامة؛من ذلك قول الله تعالى﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (سورة الحجر :الآية ٦٧). ففي الآية الكريمة:الفعل(يَسْتَبْشِرُونَ) مضارع(اسْتَبْشَرَ)اسْتَفْعَلَ مُطاوِعُ(بَشَّرَ) فَعَّلَ.بمعنى يَفْرَحُونَ ويُسَرُّونَ،"وصِيغَ بِصِيغَةِ المُضارِعِ؛لِإفادَةِ التَّجَدُّدِ مُبالَغَةً في الفَرَحِ"(٢)،وفيه كنايةٌ عن طمعهم في الفاحشة،ومدى ما كان عليه القوم من شناعة وشذوذ؛ذلك أنهم علموا أن ضيوفًا مُرَدًا في غايَةِ الحُسْنِ عند لوط عليه السلام،فطمعوا في اغتصابهم.ففي الكناية بالفعل يَسْتَبْشِرُونَ عن التصريح باسم الفاحشة،إبعادًا لها عن التداول بين العامة،وفي ذلك مدعاةً إلى نسيانها،فلا يتبادر إلى غيرهم أن يفعلوا فعلهم؛إذ إنّ خَلائقَ السُّفهاءِ تُعْدِي.

الغرض العاشر: كون المكنَّى به أسْهَل فَهمًا من لفظ المكنَّى عنه،فيساق المكنّى به بيانًا لحال المكنّى عنه

وذلك إذا كان المكنّى عنه مجهولا أو في حكم ذلك،فيساق المكنّى به تمكينًا لذهن المتلقي من إدراك المكنّى عنه وتصوّره؛من ذلك قول الله تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (سورة الروم:الآية ٤٣).ففي الآية الكريمة:الفعل(يَصَّدَّعُونَ) مضارع(تَصَدَّع) تَفَعَّلَ مُطاوِع(صَدَّعَ) فَعَّلَ،وحَقِيقَةُ الصَّدْعِ: الكَسْرُ والشَّقُّ(٣).أراد الله عزّ وجل أن يقرّب إلى الأذهان معنى التمايز والتفرّق الذي سيحدث يوم الحشر بين الناس جميعًا،وأنه سيكون تفريقًا بين إيمان وكفر،بين فَرِيق في الجَنَّةِ،وفَرِيق في السَّعِيرِ،فكنّى عن التمايز بين الفرقتين بما تألفه العرب في صورة حيّة حين يصْدَعُون

(١)ابن عاشور:الطاهر،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٣٠،ص ١٩٠ .
(٢)المصدر نفسه ،ج١٤ ، ص٦٦.
(٣)المصدر نفسه،ج٢١ ، ص١١٥.

الفِرْقَةَ من الغنمِ،أو الصِّرْمَةَ من الإبِلِ.وفي قوله:يصدّعون مبالغة في التصدّع،وفي المبالغة كناية أيضًا عن مدى التمايز الحسّي والمعنويّ بين منزلة كلّ فِرْقَةٍ .

الغرض الحادي عشر:إرادة تجسيد المعنى المكنّى عنه واستحضاره (تجسيد الانفعالات والمشاعر الوجدانية)

ومن محاسن الكناية المطاوعية تجسيد الصورة الوجدانية في صورة حسيّة نابضة بالحياة،ومن صور هذا التجسيد؛ **تجسيد انفعالات المسرّة والطمأنينة**؛نحو الكناية في قوله تعالى:﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (سورة الكهف: الآية٦٤). ففي الآية الكريمة:الفعل(ارْتَدَّ)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(رَدَّ)فَعَلَ." كَأنَّ رادًّا رَدَّهُما،وإنَّما رَدَّتْهُما إرادَتُهُما،أيْ رَجَعا عَلى آثارِ سَيْرِهِما،أيْ رَجَعا عَلى طَرِيقِهِما الَّذِي أتَيا مِنهُ"(١)،فالكناية التي أنتجها الفعل فَٱرْتَدَّا جسّدت بأسلوب حسيٍّ مدى المسرّة واللهفة التي كان فيها موسى عليه السلام وغلامه،ومدى حرص كلٍّ منهما على ملاقاة الخضر عليه السلام،وتوخيهما الحذر والدقة في اقتفاء آثارهما كَيْلا يُخْطِئا الطَّرِيقَ.ونحوه الكناية في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (سورة يوسف: الآية ٩٦).وارْتَدَّ: رَجَعَ،"أيْ رَدَّ اللَّهُ إلَيْهِ قُوَّةَ بَصَرِهِ كَرامَةً لَهُ ولِيُوسُفَ عَلَيْهِما السَّلامُ وخارِقَةً لِلْعادَةِ"(٢)،فالكناية التي أنتجها الفعل فَٱرْتَدَّ جسّدت بأسلوب حسيٍّ مشاعر يعقوب عليه السلام الوجدانية من عِظَمِ فَرَحِه،وانْشَراحِ صَدْرِه،وزوالِ أحْزانِه،تلك الانفعلات الوجدانية التي تجسدت في عودة بَصَرِه .

ونحوه الكناية في قوله تعالى:﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾(سورة الكهف: الآية ٧١).ففي الآية الكريمة:الفعل(انْطَلَقَ)انْفَعَلَ مُطاوِعُ(أطْلَقَ)أفْعَلَ."والانْطِلاقُ:الذَّهابُ والمَشْيُ، مُشْتَقٌّ مِنَ الإطْلاقِ وهو ضِدُّ التَّقْيِيدِ؛لِأنَّ الدّابَّةَ إذا حُلَّ عِقالُها مَشَتْ"(٣).فالكناية التي أنتجها الفعل

(١)ابن عاشور:الطاهر،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج ١٥ ،ص٣٦٨ .
(٢)المصدر نفسه ، ج ١٣ ،ص٥٣ .
(٣)المصدر نفسه ،ج ١٥ ،ص٣٧٤ .

فَٱنطَلَقَا جسَّدت بأسلوبٍ حسيٍّ مدَى المسرّةِ والاستمتاعِ بالحوارِ بينَ كلٍّ من مُوسَى والخَضرِ عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ.وفيها إشارة إلى الصُّحبةِ وبَدْءِ الرحلَةِ.

وكذلك تجسيد انفعالات الاحتقار والمهانة؛نحو الكناية في قوله تعالى:﴿**فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ**﴾ (سورة الأعراف:الآية ١١٩). ففي الآية الكريمة:الفعل(انْقَلَبَ)انْفَعَل مُطاوِعٌ(قَلَبَ) فَعَل."والقَلْبُ تَغْيِيرُ الحالِ وتَبَدُّلُهُ.وانْقَلَبَ مِنَ الأَفْعالِ الَّتِي تَجِيءُ بِمَعْنى صارَ وهو المُرادُ هُنا؛أيْ:صارُوا صاغِرِينَ".وهكذا ركزت كناية التعريض على تجسيد المهانة والمذلة التي لحقت بفرعون وقومه في صورة حسيّة متمثلة "في اخْتِيار لَفْظِ انْقَلَبُوا دُونَ رَجَعُوا أوْ صارُوا؛ لِمُناسَبَتِهِ لِلَّفْظِ غُلِبُوا في الصِّيغَةِ،ولِما يُشْعِرُ بِهِ أصْلُ اشْتِقاقِهِ مِنَ الرُّجُوعِ إلى حالٍ أدْوَنَ،فَكانَ لَفْظُ انْقَلَبُوا أدْخَلَ في الفَصاحَةِ"([1]).ونحوه قوله تعالى:﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ (سورة طه:الآية ٧٨).

ففي الآية الكريمة:الفعل(أتْبَعَ)أفْعَلَ مُطاوِعُ(تَبِعَ) فَعِلَ."يُقالُ أتْبَعْتُهم إذا تَبِعْتُهم،وذَلِكَ إذا سَبَقُوكَ فَلَحِقْتَهم"([2]). أجملت الآية ما غشي فرعون وقومه دون تفصيل،ليبقى وقعه في النفس أشد،فقد قاد فرعون قومه إلى الضلال الذي يؤدي إلى البوار،وفيها كناية تعريض بفِرْعَوْن الَّذِي ورَّطَ جُنُودَهُ وتَسَبَّبَ في هَلاكِهِمْ.

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ (سورة المائدة:الآية ٧٧).ففي الآية الكريمة:الفعل(ضَلَّ)فَعَلَ مُطاوِع(أَضَلَّ)أَفْعَلَ؛" أيْ:إنَّ هَؤُلاءِ ضَلُّوا في أنْفُسِهِمْ وضَلُّوا بِإضْلالِهِمْ لِغَيْرِهِمْ"([3])،فمن باب التحقير والاستهانة تأتي الكناية مجسّدةٍ تلك الانحرافات والأهواء التي وقع فيها النصارى باتباعهم اليهود، وتعريضًا بأباطيلهم؛ذلك أنَّ اليَهُودَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ نَسَبُوا عِيسى(عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ)إلى الزِّنا،وإلى أنَّهُ كَذّابٌ، والنَّصارى ادَّعَوْا فِيهِ الإلَاهِيَّةَ.

([1])المصدر نفسه ،ج٩، ص ٥١ .

([2])القِنَّوجي:أبو الطيب محمد صديق خان،فتحُ البيان في مقاصد القرآن،قدّم له عَبد الله الأنصَاري،المَكتبة العصريَّة،صَيدَا - بَيروت ،ط١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ،ج٨ ،ص ٢٥٨ .

([3])الآلوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،مصدر سابق،ج ٣ ، ص٣٧٥ .

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦ ﴾ (سورة التوبة:الآية ٤٦).ففي الآية الكريمة:(الانْبعاثُ) مصدر(انْبَعَثَ)انْفَعَلَ مُطاوِعُ(بَعَثَ) فَعَلَ،"إذا أرْسَلَهُ...والتَّثْبِيطُ إزالَةُ العَزْمِ.وتَثْبِيطُ اللَّهِ إيّاهم:أنْ خَلَقَ فِيهِمُ الكَسَلَ وضَعْفَ العَزِيمَةِ عَلى الغَزْوِ.والقُعُودُ مُسْتَعْمَلٌ في تَرْكِ الغَزْوِ تَشْبِيهًا لِلتَّرْكِ بِالجُلُوسِ"([1]).وقد جسّد السياق الكناية في قوله:(كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ)؛إشارةً إلى أنَّ قعودَهم كانَ حِرْمانًا مِنَ اللَّهِ إيّاهم،وتحقيرًا لشأنهم،وكرهًا لجهادهم إلى جانب الفئة المخلصة.

وكذلك أيضًا تجسيد انفعالات الندم والحسرة؛ نحو الكناية في قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ١٧ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورَۢا ١٨ ﴾ سورة الفرقان:الآية ١٧ ،١٨).ففي الآية الكريمة: الفعل (ضَلَّ)فَعَلَ مُطاوِع(أَضَلَّ)أَفْعَلَ،كما تَقُولُ:أقْعَدْتُهُ فَقَعَدَ.والفعل:(يَنْبَغِي) مضارع(انْبَغَى) انْفَعَلَ مُطاوِعُ(بَغَى) فَعَلَ، إذا طَلَبَهُ([2]).فقد كنّى بالفعل ضَلَّ عن إعراضهم وتفريطهم ونِسْيانِهم الذِّكْر،وكنّى بقوله: (مَا كَانَ يَنْبَغِي)عن خيبة آمالهم بعد تكذيبهم من قِبل الذين نَسَبُوا إلَيْهِمْ موالاتهم.وكلتا الكنايتين تجسد مَشهدًا مِن أهوالِ يوم المَحْشَر،ومدى ندم هؤلاء وحسرتهم وخَيْبَةَ آمالِهم في آلِهَتِهِم؛"إذْ يَرَونَ حَقارَتَها بين يَدَيِ اللَّهِ وتَبَرُّؤَها مِن عُبّادِها،وكيف أنها شهدت عليهم بِكُفْرانِهِمْ نِعْمَةَ اللَّهِ وإعْراضِهِمْ عَنِ الذكر،وكذلك حين يَسْمَعُونَ تَكْذِيبَ مَن عَبَدُوهم مِنَ العُقَلاءِ مِنَ المَلائِكَةِ وعِيسى عَلَيْهِمُ السَّلامُ والجِنِّ،ونَسَبُوا إلَيْهِمْ أنَّهم أمَرُوهم بِالضَّلالاتِ"([3]).

([1])ابن عاشور:الطاهر،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق ،ج ١٠ ،ص ٢١٥ .

([2])انظر أبا حيان الأندلسي: محمد بن يوسف،البحر المحيط،تحقيق:صدقي محمد جميل،دار الفكر/ بيروت،ط ١٤٢٠ هـ،ج٨ ، ص٩١ .وكذلك انظر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مصدر سابق ، ج ٣،ص ٢٧٠ .وكذلك ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق، ج١٨، ص٣٣٩.

([3]) ابن عاشور:الطاهر،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق، ج١٨، ص٣٣٩.

ونحوه قوله تعالى:﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۝٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩ (سورة ق:الآية٢٨، ٢٩).ففي الآيتين الكريمتين:الفعل(تَخْتَصِم) مضارع (اخْتَصَمَ) افْتَعَلَ مطاوعُ(خَاصَمَ)فَاعَلَ. والفعل (تَقَدَّمَ)تفعَّلَ مطاوعُ(قَدَّمَ) فَعَّلَ([1]).والسياق هنا يوظّف الكناية المضمرة في الفعلين:(لَا تَخْتَصِمُواْ) و(قَدَّمْتُ)؛ لتُجسّد التَّوبيخَ والتَّقْرِيعَ الذي يلحقُ بالمجرمين،حينَ يَتعلّلُون بالمَعاذِيرِ الباطِلَةِ ـــــ وقد قدّم الله إليهم الوعيد محددًا جزاء كلِّ عمل(كنايةٌ عن كتبِ اللهِ ورُسلِه) ـــــ عندئذ يُمنعَون من الِاخْتِصامِ، فيتحسّرونَ ويأسفونَ؛إذ لا يُفِيدُهم التَّخاصُمُ لِإلْقاءِ التَّبِعَةِ عَلى أحَدٍ منهم؛لأن استواءهما في الكفر كافٍ في مؤاخذة كليهما،فلا منجاة من العذاب بَعْدَ حالِ إنْذارِهم ولم يكْترثوا. وقَوْلُهُ:﴿وقَدْ قَدَّمْتُ إلَيْكم بالوَعِيدِ﴾كِنايَةٌ عن عدمِ انتفَاعِهم بالخصامِ،فلا جدوى منه ولا فائدة؛لأنَّ العِقابَ عَدلٌ مِنَ اللَّهِ([2]).

الغرض الثاني عشر:إرادة إمكان المكنّى عنه

وذلك إذا كان المكنّى عنه ممّا يُتوقع أن يُدّعَى امتناعه،فيكون المكنّى به توضيحًا لحاله،وتقوية لشأنه، وتوكيدًا له في خاطر المتلقي وأنه ممكن الوقوع؛من ذلك ما جاء في القرآن معالجًا اعتقاد الناس في أمر المعاد؛ذلك أنه لمّا كانَ النّاسُ مختلِفين في ذلك،ومنهم من قَطَع بصِحَته،ومنهم متردّدٌ غيرُ قاطعٍ،ومنهم مَنْ أَنكرَه كُفرًا وجُحودًا،أنزل الله تعالى قوله:﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ ﴾ سورة الأعلى:الآية ٩، ١٠).

ففي الآيتين الكريمتين:الفعل(يَذَّكَّرُ)أصلُه(يَتَذَكَّرُ)مضارع(تذَكَّرَ)تَفَعَّلَ مُطاوِعُ(ذَكَّرَ)فَعَّلَ."أي:يَتَذَكَّرُ مَن يَتَوَقَّعُ حُصُولَ الضُّرِّ والنَّفْعِ فَيَنْظُرُ في مَظانِّ كُلٍّ ويَتَدَبَّرُ في الدَّلائِلِ؛ لأنَّهُ يخشى أنْ يَحِقَّ عليهِ ما أُنْذِرَ بِه"([3]).وقد سيق الفعل(سَيَذَّكَّرُ)في الآية كنايةَ تَعْرِيض بهؤلاءِ الأشقياء الذين لا تَنْفَعُهم الذِّكْرى؛إذ لا خشيَةَ لهم ولا خوف؛ومن ثَمَّ فإنَّ الكنايةَ وظّفت لبيان أنَّ القلبَ الحيَّ،يخشى

([1])الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مصدر سابق ،ج ٤، ص٣٨٨.
([2])انظر ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٢٦ ، ص٣١٥.
([3])المصدر نفسه،ج٣٠ ، ص٢٨٥ .

عقابَ الله وغضبَه،لأنَّه أدركَ أنَّ للكونِ إلاهًا لم يخلقْه عبثًا،ولن يَتركَ مَنْ خَلَقَ سُدًى،ولكنْ سيُحاسبُهم على أعمالِهم،ومِن ثمّ فهو يتذكّر إذا ذُكّر.

ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾(سورة الحجر:الآية ٢٦).ففي الآية الكريمة: (مَّسْنُونٍ)اسم مفعول(سنّ)،ومنه(تَسَنَّهْ)تَفَعَّل."ولَعَلَّ(تَسَنَّهْ)بِمَعْنى تَغَيَّرَ مِن طُولِ المُدَّةِ أَصْلُهُ مُطاوِعُ (سَنَهٍ)، ثُمَّ تُنُوسِيَ مِنهُ مَعْنى المُطاوَعَةِ([1]).فلمّا كانَ هناك مَنْ ادّعَى امتناعَ البعث والحشر،سِيقَ لفظ مَّسْنُونٍ في الآية كنايةً عَن كَمالِ القُدْرَةِ الإلهية،وإيماءً إلى إمْكان ما أَنْكرُوه،فالذي خلق الإنسان من تلك المادة الرطبة المنتنة المتعفنة،ثمّ صارت من بعد هذه الحالة المهينة خلْقًا مكرّمًا وسيّدًا،قادرٌ على أن يجمعَها تارة أخرى.

الغرض الثالث عشر:إظهار التهديد والتوعُّد باستخدام اللفظ المكنّى به

ومن مقاصد الكناية المطاوعية التخويف من سوء المجازاة فيما هو آتٍ؛تحذيرًا من الوقوع في العذاب الأليم؛ فحينما أراد الله عزّ وجلّ أن يعرّض بِتَهْدِيدِ المُشْرِكِينَ بِعَذابٍ عَلى تَكذِيبِهِم رسوله ﷺ ساق قصة عاد مع أخيهم هودٍ في مقام التَّوبيخِ،والتَّهدِيدِ،والنَّعيِ؛إذ إنَّ مُعظَمَهم كَذَّبُوه وما آمَنَ بِهِ إلّا قَلِيلٌ،فعَذّبهم بالريح وأنْجَى هُودًا والَّذِينَ مَعَهُ،فقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (سورة القمر:الآية٢٠).ففي الآية الكريمة:(مُنْقَعِرٍ) اسْمُ فَاعِلِ(انْقَعَرَ)انْفَعَل مُطَاوِعُ(قَعَرَ) فَعَلَ،"أَيْ بَلَغَ قَعْرَهُ بِالْحَفْرِ يُقَالُ:قَعَرَ الْبِئْرَ إِذَا انْتَهَى إِلَى عُمْقِهَا،أَيْ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ قُعِّرَتْ دَوَاخِلُهُ وَذَلِكَ يَحْصُلُ لِعُودِ النَّخْلِ إِذَا طَالَ مُكْثُهُ مَطْرُوحًا"([2]).وفي قوله: مُنْقَعِرٍ كناية عن عنف تلك النزعة؛إذ إن الرِّيحَ كانت تقلع رُؤُوسَهم فَتبقى أجسادًا وجُثَثًا بِلا رُؤُوسٍ،وفيه إشارة إلى قُوَّة أبدانهِم مع طولِها،وثَباتِهِم على الأرض؛كأنّهم يحَاولون مصَارعَةَ الرّيح.

([1])ابن عاشور:الطاهر،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج١٤ ،ص٤٢.وكذلك البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،تحقيق محمد عبد الرحمن،دار إحياء التراث العربي - بيروت ،ط١، ١٤١٨ هـ ،ج ٣ ،ص ٢١٠.

([2])ابن عاشور:الطاهر،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق، ج٢٧،ص ١٩٤ .

ومن ذلك ما حكته الآيات تعريضًا بالغافلين عن مشهدٍ من مشاهد يوم القيامة،وهو وقوف الإنسان على أعماله في كتابه،فتُعرض عليه وقد نَسِيها مِن فَرْطِ الغَفْلَةِ وطُولِ الأمَدِ،فيتحسّر على فواتِ الفرصةِ في دارِ العمل.وهذا السياق جاء على طريقة الموعظة بالترهيب،لينتبه الغافلين المفرّطين،وكلٌ من آثر الحياة الدنيا،ولم تكن الآخرة في حسبانه؛وفي هذا يقول تعالى:﴿ **يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ**﴾(سورة النازعات:الآية ٣٥).ففي الآية الكريمة:الفعل(**يَتَذَكَّرُ**)مضارع(تَّذَكّرَ)تَفَعَّلَ مُطاوِعُ(ذَكَّرَ)فَعَّلَ."والتَّذَكُّرُ يَقْتَضِي سَبْقَ النِّسْيانِ،وهو انْمِحاءُ المَعْلُومِ مِنَ الحافِظَةِ.والمَعْنى:يَوْمَ يُذَكَّرُ الإنْسانُ فَيَتَذَكَّرُ،أيْ: يُعْرَضُ عَلَيْهِ عَمَلُهُ فَيَعْتَرِفُ بِهِ"([1]).وفي قوله: ىَتَذَكَّرُ كناية عن الجزاء وتعريض بالغفلة وفرط النسيان.

وفي سياق آخر ينقلنا التعبير القرآني نقلة أخرى مع الترهيب والتخويف في مشهد من مشاهد الحشر والحساب،حيث لو أنّ لكلّ نفسٍ ظَلَمَت ما فِي الأرضِ لافتدتْ به.وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (سورة يونس :الآية٥٤).ففي الآية الكريمة: الفعل(افْتَدى)إفْتَعَلَ مُطاوِعُ(فَدَى)فَعَلَ."يُقالُ:فَداهُ فافْتَدى.والمَعْنى أنَّ هَذا العَذابَ لا تَتَحَمَّلُهُ أيَّةُ نَفْسٍ عَلى تَفاوُتِ الأنْفُسِ في احْتِمالِ الآلامِ،ولِذَلِكَ ذُكِرَ كُلِّ نَفْسٍ دُونَ أنْ يُقالَ ولَوْ أنَّ لَكم ما في الأرْضِ لافْتَدَيْتُمْ بِهِ"([2]).وفيه كِنايَةٌ عَنْ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ وذُلِّهِمْ،وتضاؤُلِهم لمَّا رَأوا العذابَ.ونحوه قوله تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾(سورة النساء:الآية ٤٢).ففي الآية الكريمة:الفعل(تَسوّى)تَفَعَّلَ مُطاوِعُ (سَوّى)فَعَّلَ."إذا جَعَلَهُ سَواءً لِشَيْءٍ آخَرَ.المَعْنى أنَّهم يَصِيرُونَ تُرابًا مِثْلَ الأرْضِ([3]).وفيه كناية تعريض بحال أهل الجحيم؛إذ إنَّهم لمّا بُهِتُوا بما عايَنُوا مِمّا لَمْ يَحتَسِبُوه مِن فَظاعَةِ الأمرِ وهَولِه،لَم يَقدِرُوا أنْ يَنطِقُوا. ونحوه قوله تعالى:﴿ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟

([1])المصدر نفسه،ج٣٠ ،ص٩٠.
([2])الآلوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،مصدر سابق ،ج ٦ ، ص١٢٩ .
([3])ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج ٥ ،ص٥٩ .

مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (سورة الذاريات:الآية٤٥).ففي الآية الكريمة:(مُنْتَصِر)اسم فاعل من(انْتَصَرَ)افْتَعَلَ مُطاوِعُ(نَصَرَ)فَعَلَ."وقَوْلُه:(وما كانُوا مُنْتَصِرِينَ)،أيْ:لَمْ يَنْصُرْهم حَتّى يَكُونُوا مُنْتَصِرِينَ"([1]).كناية عن عجزهم عن دفع العذاب بِغَيرِهِم أو بِأنْفُسِهِم،وفي ذلك تهديد بانتفاء وجودِ قوةٍ يَمتَنِعُونَ بِهَا مِنَ اللَّهِ .

الغرض الرابع عشر: إرادة معنى التقرير

ومن مقاصد الكناية المطاوعية،حمل المتلقي على الإقرار بأمر ما؛من ذلك ما وظّفَه السّياقُ القرآنِيُّ لإفادةِ الإقرارِ بسلطَانِ اللهِ الخالقِ الرازقِ المتحكّم في شُؤونِ خلقِه والمتصرّف فيها،إذ يقول الله تعالى:﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ (سورة الأنعام:الآية١٥١).ففي الآية الكريمة:الفعل(تَعَالَى)تَفاعَلَ مُطاوِعُ(عَالَى)فاعَلَ([2]).وفيه كنايةُ تعريضٍ بالمشركين وإعْراضِهِم.

ومنه كذلك ما وظّفَه السياقُ لإقْرارِ أمرِ اسْترضَاعِ الأبِ لولَدِه،وقُيِّدَ أمرُ الاسترضاع بالمَعْرُوفِ،أي بما هو مَعْرُوفٌ في مِثْلِ حالِهِمْ واعْتَادَ عليه قَوْمُهم؛إذ يقول تعالى:﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ (سورة الطلاق:الآية ٦). ففي الآية الكريمة:الفعل(ائْتَمَرَ)افْتَعَلَ مُطاوِع (أَمَرَ) فَعَلَ."والائْتِمارُ:التَّشاورُ والتَّداولُ...لِأنَّ المُتَشاوِرِينَ يَأْمُرُ أحَدُهُما الآخَرَ فَيَأْتَمِرُ الآخَرُ بِما أمَرَهُ"([3]).وفيه كنايةٌ عن المُعَاسَرةِ والمُمَاسَكَةِ التِي تكُونُ بينَ الرِّجالِ والنِّساءِ الواقِعِ بَينَهُم الطَّلاقُ .

ومنه كذلك توظيفُه الكنايةِ لإقْرارِ أنّ الزّادَ والقوةَ فِي الطّريقِ إلَى اللهِ تُستمدُ مِنَ التَّوكُّلِ عليهِ وحدَه؛فالأمر وإن كان موجّهًا إلى النّبي ﷺ للاستعانةِ باللهِ في نشْرِ الدعوةِ،فهو منوطٌ

([1])المصدر نفسه،ج٢٧ ، ص١٤ .

([2])ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،مصدر سابق ج٢،ص٣٦١ .وتعالى: أصلُهُ فِعْلُ أمْرٍ مِنَ التَّعالِي،وهو تَكَلُّفُ الِاعْتِلاءِ، ثُمَّ نُقِلَ إلى طَلَبِ الإقبالِ مُطْلَقًا.قِيلَ:هو اسْمُ فِعْلِ أمْرٍ بِمَعْنى أقْدِمْ؛لِأنَّهم وجَدُوهُ غَيْرَ مُتَصَرِّفٍ في الكَلامِ إذْ لا يُقالُ:تَعالَيْتُ بِمَعْنى قَدِمْتُ،ولا تَعالى إلَيَّ فُلانٌ بِمَعْنى جاءَ.ورَجَّحَ جُمْهُورُ النُّحاةِ أنَّهُ فِعْلُ أمْرٍ ولَيْسَ باسْمِ فِعْلٍ، حيث تلزمه عَلاماتٌ مُناسِبَةٌ لِحالِ المُخاطَبِ بِهِ،فَيُقالُ: تَعالَوْا وتَعالَيْنَ،ولِأنَّهُ لَوْ كانَ اسْمَ فِعْلٍ لَما لَحِقَتْهُ العَلاماتُ، ولَكانَ مِثْلَ: هَلُمَّ وهَيْهاتَ.راجع ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٨ ، ص ١٥٧ .

([3])ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج ٢٨،ص ٣٢٩ .

بالمُؤمِنينَ أيضًا في كلّ شؤونِ حياتِهم، يقول تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ ﴾ (سورة المزمل:الآية ٨ ـــ ٩).ففي الآيتين الكريمتين:الفعل (تَبَتَّلْ)أمرُ(تَبَتَّلَ)تَفَعَّلَ مُطاوِعُ(بَتَّلَ)فَعَّلَ."والتَّبَتُّلُ:شِدَّةُ البَتْلِ،وهو مَصْدَرُ تَبَتَّلَ مُطاوِعُ بَتَّلَهُ فَتَبَتَّلَ...يُقْصَدُ مِن صِيغَتِها المُبالَغَةُ في حُصُولِ الفِعْلِ حَتّى كَأنَّ غَيْرَه فَعَلَهُ بِهِ فَطاوَعَهُ"([1]).كناية عن وجوبِ تَفَرُّغِ البالِ والفِكْرِ إلى ما يُرْضِي اللَّهَ .

وكذلك توظيفُه الكنايةِ مجَسَّدةً في صُورةٍ حِسِّيَّة عَنيفَةٍ لإفادةِ الإقرارِ بوحْدَةِ الخَالِقِ الذِي أَرْسلَ الرُّسُلَ،ووحْدةِ وجْهَتِهم إليهِ سُبحانَه،ووحدة الدين الّذي جَاؤُا به،وهو دِينُ الإسْلَامِ،يقول تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣ ﴾ (سورة المؤمنون: الآية ٥٣).والتَّقَطُّعُ أصْلُهُ مُطاوِعُ قَطَّعَ([2]).كناية عن وحدة الدين عند الله،وهو الإسلام،رغمَ تَنَازُعِ الناسِ فيه حتّى مزَّقُوه بَينَهم مَزْقًا.

وفِي الأخِيرِ نُجمِلُ القَولَ حولَ الأَسرَارِ البَلاغيَّةِ للتوظِيفِ الكِنَائِي للفِعلِ المُطاوِعِ في القُرآنِ الكَرِيمِ؛إذ يَتضِح لنَا مَا يَلِي :

ــ تعدّد المواضع التي تَرِدُ الفعلُ المطاوِعُ فيها بأوزانه المختلفة في السياق القرآني.

ــ أصبحت الصيغة الكنائية للفعل المطاوع ظاهرةً تفرض نفسَها على الدَّرْسِ اللّغويّ والبلاغي؛فالنّصُّ القرآنيُّ مُعجزٌ في بيانِه وأسلوبه،ولا شكّ أنّ الصِّيغة الفعليّة المطاوعيّة لها أهمّيّتُها وأثرُها في المعنى ـ خاصة المعنى الكنائي ـ وما ينتج عنها من تغيُّراتٍ في الدّلالةِ تستدعي استجلاء مقاصدها البلاغيّة .

ــ الدراسة البلاغية للنظم القرآني في آياته وسوره أمرٌ ضروريٌّ في تطوير الدرس البلاغي نظريًّا وتطبيقيًّا.

ــ كشفت عينة الدراسة من الآيات التي توفرت فيها هذه الظاهرة،عن العلاقة الوطيدة بين علمي الصرف والبلاغة،وأوضحت أثر المعاني الوظيفية للصيغ الصرفيّة لأفعال المطاوعة في البلاغة القرآنية .

ــ المطاوعة بنية ثنائية الإنتاج؛إنتاج صياغي يتجاوزه الذهن إلى إنتاج آخر دلالي يوازيه.

ــ للمطاوعة خصائص تركيبية تتجلى في ارتباط بنية الفعل المطاوَع ببنية الفعل المطاوع تركيبيًّا.

([1])ابن عاشور:الطاهر ،تفسير التحرير والتنوير،مصدر سابق،ج٢٩ ،ص٢٦٥ .
([2])المصدر نفسه،ج ١٨ ،ص٧٢ .وكذلك ابن عطية: المحرر الوجيز،مصدر سابق،ج٤، ص١٤٦.

ــ للمطاوعة خصائص دلالية تتجلى في التأثر والتأثير؛ذلك أنّ المطاوعة في حدودها المعرفية تعتمد على الانتقال من الفعل إلى شيء يلزمه وهو التأثر.

ــ للمطاوعة خصائص صرفية تتجلى في بنية المطاوعة وأوزانها؛فهي تأتي على وزن من الأوزان التالية: (فَعَل، وأفْعَلَ، وافتَعَل، وانْفَعَل، وتَفَعَّل، وافعَلّ، وافعَالّ، واسْتَفْعلَ، وافْعَوْعَلَ، وتَفَعْلَلَ، وافْعَلّ، وافْعَنْلل، وافعَنْلى).

ــ وظّفت أوزان المطاوعة جميعها في السياق القرآني ما عدا أربعة أوزان هي:(تَفَعْلَلَ، وافْعَلّ، وافْعَنْلل، وافعَنْلى)،وقد يعود ذلك إلى ثقلها في النطق .

ــ لا تختلف فاعلية الصيغة الكنائية المطاوعية بشكل خاص عن فاعلية الكنائية بشكل عام،إذ تتركز فاعلية كلّ منهما على إنتاجها؛حيث يسير الإنتاج الكنائي لهما في ثلاثة خطوط رئيسة،تعتمد الحركة الذهنية عند المتلقي في استخلاص المعنى؛وهي:الصفة ،والموصوف،والنسبة.

ــ بالنظر في كيفية إدراك المتلقي للمعنى الكنائي في الفعل المطاوع،فإن هذا المعنى يتفاوت ظهورًا وخفاءً في مستويات أربعة،كما هو الحال بالنسبة الكناية بشكل عام؛وهي التعريض،والتلويح،والرمز،والإيماء والإشارة.

ــ مما يزيد من قيمة التوظيف الكنائي للفعل المطاوع البلاغية في السياق القرآني؛شمولها على عنصر التشبيه،والاستعارة،والتمثيل،والمجاز في إنتاج المعنى؛ومن ثم تتسع رقعة الظلال التي تسبح فيها المعاني الكنائية التي يريد تصويرها السياق القرآني أو بثّها.

ــ تعددت المقاصد البلاغية لكنائية الفعل المطاوع في السياق القرآني،منها :(إيثار الأسلوب غير المباشر في الكلام، والمكنَّى به ينبّه على معنىً لا يؤدّيه اللفظ الصّريح المكنَّى عنه، والمكنَّى به أجمل عبارةً،وأعذب لفظًا من المكنَّى عنه،والمكنَّى عنه ممّا يَحْسُن سَتْرُهُ،ويقبُحُ التصريح به،وتجسيد المعنى المكنّى عنه واستحضاره .....إلخ).

ــ تعدّ الكناية القرآنية في الفعل المطاوع من ألطف أساليب البلاغة القرآنية وأدقها،فهي تمكّن المتكلم من التعبير عن أمور كثيرة،يتحاشى الإفصاح بذكرها،إمّا احترامًا للمخاطب،أو للإبهام على السّامعين،أو للنيل من خصمه،دون أن يدعَ له سبيلا عليه،أو لتنزيه الأذن عمّا تنبو عن سماعه،ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية .

المصادر والمراجع :

أولاً : القرآن الكريم .

ثانيًا: المطبوعات

١. ابن الحاجب النحوي:أبو عمرو عثمان بن عمر،الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف إحياء التراث الإسلامي ، بغداد، ج٢ ، ط ١٩٨٣م.
٢. ابن جني:أبو الفتح عثمان،المنصف(شرح كتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري)، تحقيق إبراهيم مصطفى،وعبدالله أمين،وزارة المعارف العمومية/إدارة إحياء التراث القديم،ط١ ،١٩٥٤م.
٣. ابن عاشور: محمد الطاهر ، التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، الدار التونسية للنشر - تونس ،ط ١٩٨٤ م.
٤. ابن عصفور:أبو الحسن علي، الممتع الكبير في التصريف،تحقيق فخر الدين قباوة،مكتبة لبنان ناشرون، ط١٩٩٦م.
٥. ابن منظور: محمد بن مكرم،لسان العرب،ط دار المعارف.
٦. أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي،إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٧. أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف
البحر المحيط،تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر / بيروت،ط ١٤٢٠ هـ .
ارتشاف الضرب من لسان العرب ،تحقيق رمضان عبد التواب/ رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي ، ط١ ،1998 .
٨. الأزهري:أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث العربي - بيروت ،ط١، ٢٠٠١م .
٩. الأستراباذي:الرضي،كتاب شرح شافية ابن الحاجب،تحقيق محمد نور الحسن،ومحمد الزفزاف،ومحمد محيي الدين عبدالحميد،دار الكتب العلمية بيروت،ط ١٩٨٢م.
١٠. الآلوسي: شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري،دار الكتب العلمية / بيروت،ط١، ١٤١٥ هـ .
١١. السيوطي: جلال الدين،همع الهوامع ،تحقيق عبدالعال سالم،دار البحوث العلمية /الكويت،ج ٦، ط١٩٨٠م .
١٢. المبرد:أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب،تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/ لجنة إحياء التراث الإسلامي/القاهرة،ط١ ،١٩٩٤ م.
١٣. البحتري:ديوان البحتري،تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف – مصر،ط٣ .
١٤. البغوي:أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن ،تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش،دار طيبة ،ط٤، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ .
١٥. البقاعي: إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
١٦. البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،تحقيق محمد عبد الرحمن،دار إحياء التراث العربي - بيروت ،ط١، ١٤١٨ هـ .

١٧. التبريزي:أبو زكريا يحيى،شرح ديوان الحماسة، دار القلم/ بيروت.
١٨. الجرجاني:علي بن محمد الشريف،التعريفات،دار الكتب العلمية بيروت،ط١ ، ١٩٨٣م.
١٩. جرجيس:أيوب،أفعال المطاوعة واستعمالاتها في القرآن الكريم،دار الإيمان/مصر ،ط٢٠٠٤م .
٢٠. الحازمي: أحمد بن عمر،شرح نظم المقصود(الكتاب دروس صوتية قام بتفريغها موقع الحازمي ttp://alhazme.net) ، المكتبة الشاملة الحديثة، (الجزء هو الدرس الصوتي) .
٢١. حسنين:صلاح الدين صالح ،أبنية المطاوعة في العربية: دراسة في ضوء نظرية الحالة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد ١١٤ نوفمبر – ذوالقعدة ٢٠٠٨م / ١٤٢٩هـ .
٢٢. ديوان الخنساء : تماضر. بنت عمرو ،شرح حمدُو طمّاس،دار المعرفة _ بيروت _لبنان، ط٢ ، ٢٠٠٤م .
٢٣. الرازي: فخر الدين،مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)،دار إحياء التراث العربي/ بيروت،ط ٣ ،١٤٢٠ ه.
٢٤. الزبيدي:أحمد بن محمد تاج العروس ،تحقيق عبدالستار فراج وآخرين،دار الهداية الكويت، ط١٩٦٥م.
٢٥. الزمخشري:أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي/ بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ .
٢٦. السلسيلي: محمد بن عيسى، شفاء العليل في إيضاح التسهيل،،تحقيق الشريف عبدالله،المكتبة الفيصلية/مكة المكرمة، ط١ ،١٩٨٦م .
٢٧. سيبويه:أبو بشر عمرو بن عثمان،الكتاب،تحقيق عبد السلام هارون،عالم الكتب،بيروت،ج٤،ط ٣، ١٩٨٣.
٢٨. عبد المطلب: محمد،البلاغة العربية قراءة أخرى، دار نوبار للطباعة/القاهرة،ط٢ ،٢٠٠٧م .
٢٩. العجاج:عبدالله بن رؤبة،ديوان العجاج(رواية الأصمعي وشرحه)،تحقيق عِزة حسن،دار الشرق العربي /بيروت لبنان، ط١٩٩٥م .
٣٠. الفراهيدي: الخليل بن أحمد معجم العين، تحقيق د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت .
٣١. الفيروز آبادي:محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، ،مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٢ سنة ١٩٨٧.
٣٢. القِنَّوجي:أبو الطيب محمد صديق خان،فتحُ البيان في مقاصد القرآن،قدّم له عَبد الله الأنصَاري،المَكتبة العصريَّة،صَيدَا - بَيروت ، ط ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
٣٣. الوهيبي:صالح بن سليمان،المطاوعة معناها وأوزانها،مجلة جامعة الملك سعود،كلية الآداب، مج ٦، ع٢، سنة ١٩٩٤ .